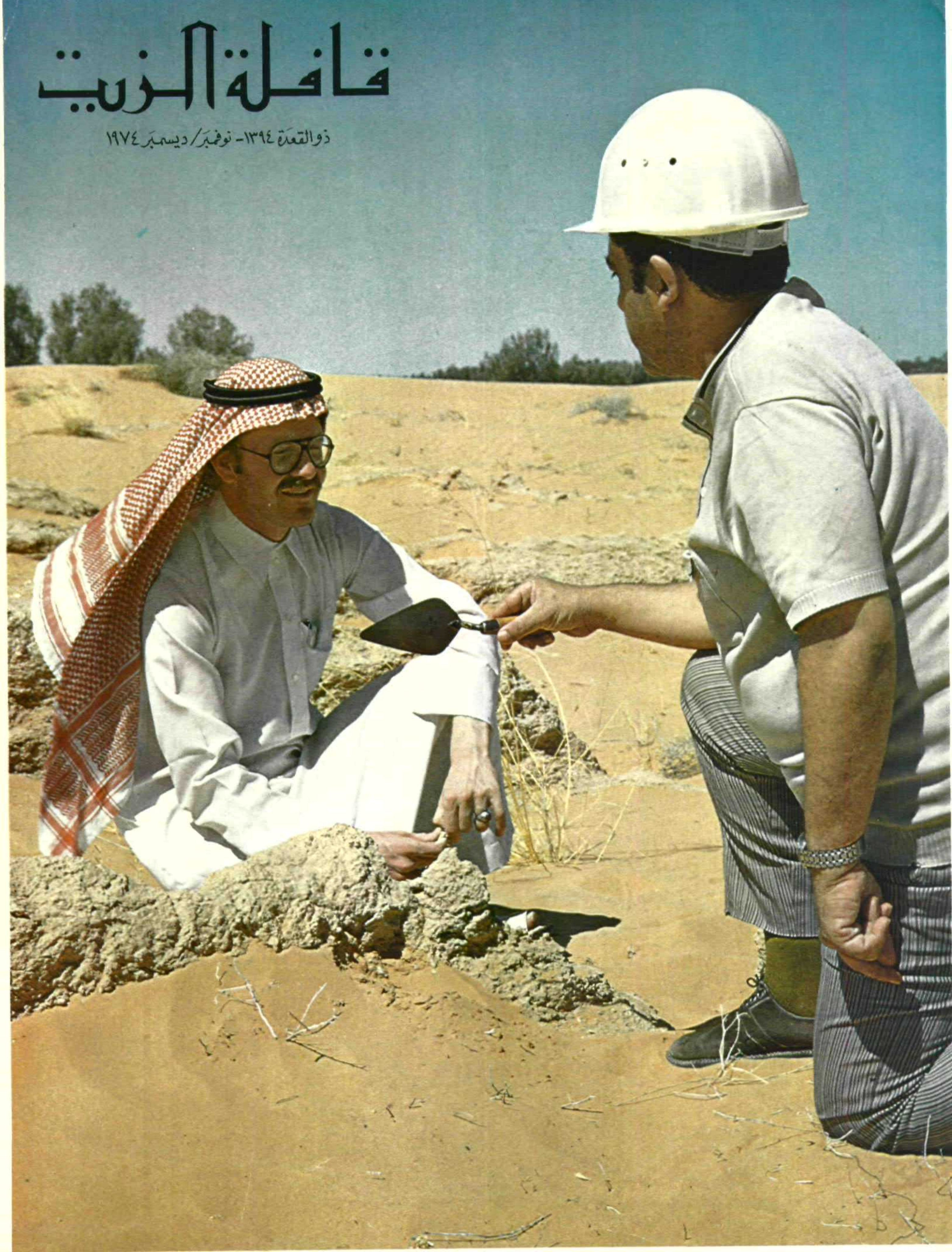
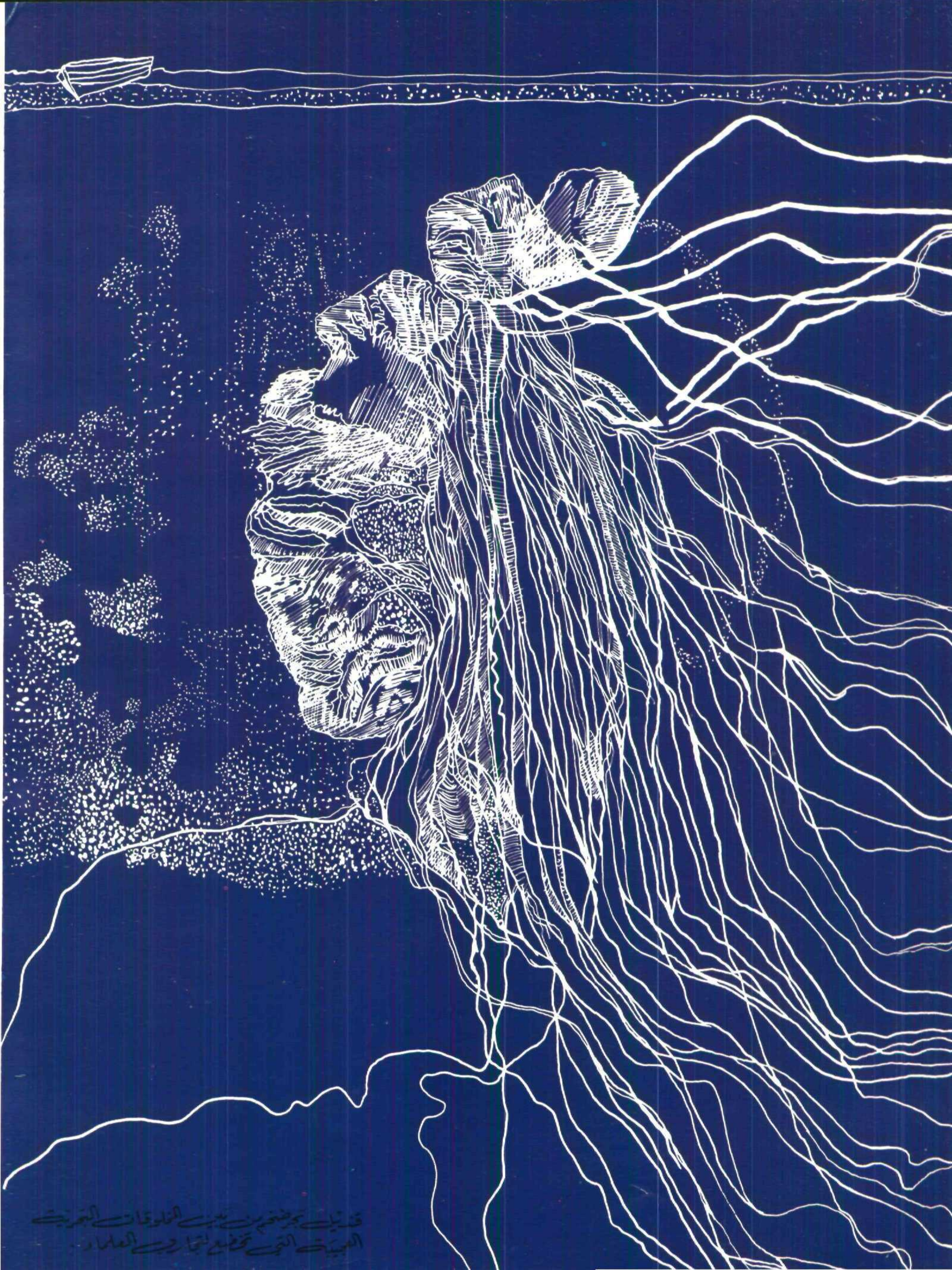


قافلة الزيت
ذو القعدة ١٣٩٤ - نوفمبر / ديسمبر ١٩٧٤



قنديل بحر ضخم من بين المخلوقات البحرية
العجيبة التي تخضع لتجارب العلماء.

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

تصدر شهرياً عن شركة «ارامكو» لموظفيها
إدارة العلاقات العامة - توزع مجاناً
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

المدير العام: فيصل محمد البسام   المدير المسؤول: عبدالله صالح جمعة

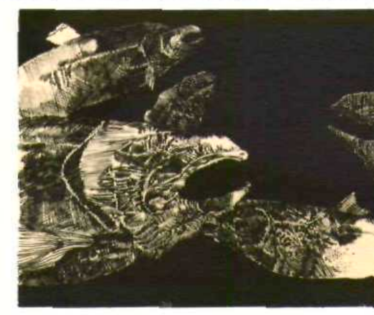
رئيس التحرير: منصور مدني   المحرر المساعد: عوني أبو كشك

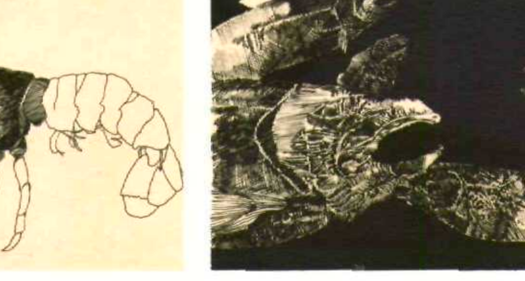
العدد الحادي عشر   المجلد الثاني والعشرون

محتويات العدد

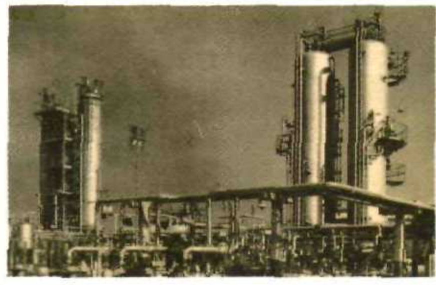
بحوث أدبية

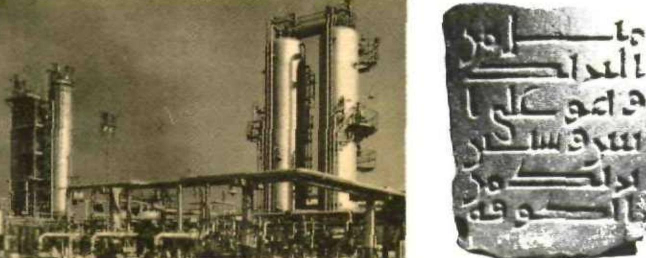
بحوث علمية





استطلاعات مصورة







التعليق على صورة الغلاف

اثنان من أعضاء البعثة الأثرية التي اوفدتها ادارة الآثار الى اليمامة يقومان بتفحص بعض المخلفات الأثرية في موقع « البنّة » القريب من مدينة الخرج .

شركة مطابع المطوع – الدمام
AL-MUTAWA PRESS COMPANY, DAMMAM

الجزاء الأخلاقي

إذا أتى الانسان فعلا من الأفعال ، فان هذا الفعل اما أن يكون حسنا ، واما أن يكون قبيحا ، ولكلا الأمرين جزاء . فجزاء الفعل الحسن ، فوق الحمد والشكر ، شعور بالراحة النفسية التي يحسها من قدّر لهم أن يقوموا بالواجب ذاته ، ومن وقفوا حياتهم لخدمة المجتمع ابتغاء مرضاة الله . وجزاء الفعل القبيح ، فوق الذم والاستنكار ، تأنيب الضمير ، وشعور بالألم النفسي ، فينغص الحياة ويجعل منها سلسلة متصلة من الآلام .

وللجزاء أنواع مختلفة ، منها : الجزاء الديني ، والجزاء القانوني ، والجزاء الطبيعي ، والجزاء الأخلاقي . ويتلخص الجزاء ، كما قلنا ، في الارتياح أو التأنيب الذي يحسه الانسان في قرارة نفسه بعد اتيان الفعل الأخلاقي أي أن يحسّ الانسان عاقبة ما أملاه عليه الواجب أو القانون الأخلاقي في فعله . ويرى العلامة « بول جانيه » أن القانون الأخلاقي أميل الى المكافأة منه الى العقاب ، وهذا عكس القانون الوضعي الذي يميل الى العقاب والذي تفترض نصوصه حتما العقاب الخارجي .

ولكي تتسم أفعال الانسان بالفضيلة ، يجب أن يتجسم الجزاء الأخلاقي في فكرة ، فينظر الى بعد ويتصور العاقبة قبل البدء ، ويروّض وجدانه وينمّيه ليصبح ذا نظرة شفافة يستشف من خلالها عواقب أحكامه على الأشياء وما تمليه هذه الأحكام من سنن التخلق . فاذا أخذ الانسان نفسه بهذا المنهج المتزن ، وهذه النظرة الصائبة ، اتصفت أعماله بالفضيلة . وهناك فرق بين الفضيلة والسعادة .

فالأولى ، فكرة نظرية أو عقلية محضة عامة لجميع الناس ، وهي الخلق الطيب . والخلق ، كما هو معروف ، هو « عادة الارادة » فاذا اعتادت الارادة شيئا طيبا سميت هذه الصفة بالفضيلة . والانسان الفاضل ، هو الانسان ذو الخلق الطيب الذي اعتاد أن يختار العمل الذي تمليه ارادة الأخلاق .

أما السعادة ، فهي فكرة عملية خاصة بالفرد والأمة . وتختلف باختلاف الأفراد والظروف المحيطة بالفرد الواحد . فهي الغاية الأخيرة للانسان ، ويمكن تسميتها بالطبيعة الفاضلة .

ولكن ما هو الارتياح ، وما هو التأنيب ؟

اذا أتى المرء عملا أخلاقيا موفقا فلا بد أن يحسّ في قرارة نفسه بارتياح نفسي كبير ازاء ذلك العمل . وهذا الارتياح بعيد كل البعد عن تحقيق أية فكرة للمنفعة أو الوصول الى غاية أو نزوة معينة . فهي لا تتعلق بالحس، بل تتعلق بالعقل . ويقول العلامة « بول جانيه » في هذا الصدد : « ان شعورنا باللذة النفسية يجب أن يكون عوضا عما قمنا به من مجهود يستحق الجزاء » .

وعلى العكس من ذلك ، فاذا أتى المرء عملا لا أخلاقيا ، فلا بد له من أن يحس بألم نفسي على ذلك العمل اللاأخلاقي . هذا الألم النفسي هو ما نسميه بالتأنيب ، وهو ألم بعيد كل البعد عن أية فكرة ينعدم فيها تحقيق المنفعة أو ينعدم الوصول الى غاية معينة .

ولكن يجب ألا يبلغ التأنيب درجة تشعر النفس عندها بأنها أخطأت خطأ فاحشا لا يرجى اصلاحه . لأن مثل هذا الشعور يترتب عليه اهانة النفس ، واشعارها بعظم الخطأ وعندها يخشى أن تتأصل عادة الاجرام فيها ، فتصل الى حالة تسمى عند علماء الأخلاق بـ « الشر الأخلاقي » . فمن الواجب اذن أن يكتفى بالتأنيب باشعار النفس بأن التوفيق لم يحالفها ، وأن عدم التوفيق هنا عارض سيزول في المستقبل ، مما يبعث الأمل على السير بها في الطريق السوي .

فالاعتدال في التقريظ والتأنيب ضروري جدا ، كوسيلة للوصول الى الخير ، والبعد عن الشر . ولا يكون هذا الا بالاتزان في التخلق ، والتحكم بالارادة في الوجدان والأفعال .

فكرة الخير والشر من الناحية الأخلاقية

بقلم: الأستاذ سعيد زايد

ويجب ألا يغيب عن البال أن الأساس الذي تقوم عليه فكرة الجزاء هو فكرة العدل لا فكرة المنفعة . فالفرد يعمل عمل القاضي ازاء نفسه ، اذ يزن أفعاله وتصرفاته في شتى الميادين بميزان دقيق ، وينظر اليها نظرة المحايد الذي وكل اليه الفصل والحكم في أمر من الأمور ، والذي يرى أن من الواجب عليه تقرير الحقيقة دون تحيز أو محاباة . لأن الجزاء يأتي عادة عند انتهاء الفعل الأخلاقي ، ومهمته تقريظه في ذاته ، لا ليتخذ منه وسيلة لغرض معين . أما القاضي فهو الوجدان نفسه الذي يزن التخلق ، لا يحابي ولا يظلم ، لأنه بعيد عن المادة الخارجية ، ولأنه داخلي نفسي لا يهتم ببواعث التصرف المتعدد الاتجاهات بين الأنانية والغيرية . فمهمة الالزام هي تحديد البعد أو القرب في دائرة العقل من القانون الأخلاقي أو الواجب الذي لا يتطلب الا أن يفعل ويتحقق لذاته لأنه يأمر وأوامره لذاتها ليست بحاجة الى شيء خارجي.

الجزاء الديني المحض

وهو ثواب الله في الآخرة لمن أطاع ربه وامتثل أمره ، وعقابه لمن خرج عن طاعته وخالف أمره ، وهو الأمل المرتقب لمن فاته الثواب في الدنيا ، والشبح المخيف لمن أفلت من عقاب العاجلة .

الجزاء الطبيعي

وهو عبارة عن النتائج التي تلحق بالبدن من جراء أفعالنا الأخلاقية حسنة كانت أم قبيحة . فمثلا القناعة في المأكل والمشرب تؤدي حتما الى أن تظل الصحة سليمة ، بينما الشره يؤدي الى تعدد الأمراض ، والرياضة البدنية تكسب الأجسام مناعة وتورث البهجة والسرور والانشراح ، والنظرة الى الحياة نظرة متفائلة مملوءة بحب الخير والبعد عن الشرور والآثام وصدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حين قال : « ان لبدنك عليك حقا . » وكذلك الاجتهاد في العمل يؤدي الى الانشراح بينما الكسل يؤدي الى الخمول الذي يورث المرء آلاما نفسية مبرحة ويفقده مركزه في الهيئة الاجتماعية .

الجزاء القانوني

ويوجد على الأخص في دائرة القانون الجنائي ، ويقع ضد من يرتكب الأفعال الجنائية ، ويصاحبه في ذلك الجزاء الأخلاقي . فالقانون الوضعي ، في الواقع ، قائم على القانون الأخلاقي ، لأن الأخلاق تفرض شكلها وتأثيرها على الأفعال القانونية . فمثلا « لا تسرق » و « لا تنتحر » و « لا تخن الأمانة » ، قوانين عامة ومتبعة في معظم الدول على اختلافها ، ويعاقب القانون الوضعي فيها من يتعدى عليها . وهي مع ذلك قوانين أخلاقية .

الجزاء الاجتماعي

وهو ذلك الحكم الذي ينعكس على أفعالنا وطباعنا وتصرفاتنا ، فالانسان كائن اجتماعي ، وهو مدني بالطبع كما يقول العلامة « ابن خلدون » . وما دام كذلك فهو لا يستطيع بوجه عام ، أن يحيا الا في مجتمع ، والحياة في المجتمع تستدعي طرح الأنانية جانبا لتستقيم الحياة .. فكل عمل شريف يحظى بالاحترام والتقدير .

الجزاء النفسي او الأخلاقي

وهو كما أشرنا سابقا ، تأنيب الضمير ، ويتناول الفعل الأخلاقي كنتيجة موفقة أو غير

موفقة ، وسبيله الى ذلك التحديد وهو تحقق فكرة الواجب والقانون الأخلاقي في الفعل .

وبعد ، هل يوصلنا الانتباه الى الجزاء وأنواعه الى الخير والسعادة في الحياة ؟ ان الجواب يكون بالايجاب اذا كان الجزاء (ثوابا كان أم عقابا) أخلاقيا محضا ، لأن الجزاء النفساني الداخلي يستطيع الانسان أن يحققه بالاعتدال، اذا خلصت نيته وصفت ارادته عن شائبة الأغراض والنزوات ، فراحة النفس ، وحب الخير ، والاعتدال في الفعل ، كل هذه الأمور في ميسور الانسان تحقيقها لتجعله يشعر بالسعادة ويدرك نواحي الخير في الحياة .

ولكن هذا ، في الغالب ، لا يتحقق ، لأن الجزاء الأخلاقي ليس هو الجزاء الوحيد في الحياة الدنيا ، فالى جواره توجد جزاءات دنيوية لا علاقة لها بالأخلاق ولا بداخلية النفس ، مثل « الثروة التي يرثها الانسان عن أبويه » ، و « الأمراض التي تصيب الجسم » والمواقف الخطرة التي يواجهها الانسان في مجرى حياته ، وما الى ذلك من الأمور الخارجية التي لا تمت للارادة بصلة ، والتي لاحظها الرواقيون من قديم الزمان ، وهي التي تفسد على الانسان صفاء نفسه واتزان ارادته في الحكم.

ليس من المغالاة في شيء أن يقصر بعض العلماء فكرة الخير على موضوع الوجدان الأخلاقي ، فمهمة الوجدان ، كما يرونها انما هي وضع الحد الفاصل بين الخير والشر ، ويتلو ذلك التقرب من الخير والابتعاد عن الشـــر .

والخير مسألة نسبية ، فهو يضفي على صاحبه شعورا بالارتياح عندما يحس به . فالمريض مثلا . خيره الشفاء ، والطالب خيره النجاح . فهو هنا ذو معنى عملي يجلب الرضا للانسان وما يتفق ورغباته الصادقة الخيرة وهذا تعريف من الوجهة العملية قال به بعض العلماء .

ويعرف العلامة « هوفدنج » الخير بأنه دوام الشعور بالارتياح حين يسعى الانسان وراءه ، ولكن سبيل الارتياح ، في رأيه ، محفوف بالمكاره والأخطار ، ومهما بذلنا من جهد لا يمكننا الوصول الى الارتياح الكامل . ويرى «هوفدنج» أن الانسان اذا استطاع أن يحد من نزواته ورغباته وصل الى الخير .

هذه صورة مختصرة عن فكرة الخير في الأخلاق . بقي أن نتناول فيما يلي فكرة الشر في الأخلاق . ما هو الشر الأخلاقي ؟ انه تخبط الانسان في أحكامه الخلقية ، نتيجة الجفاء أو العزلة عن المجتمع البشري والخروج عن مألوف العرف لغالبية الناس سواء كان ذلك نتيجة للتكبر أو للاهمال أو لميول خاصة ، وبذلك يصبح تصرفه غريبا عن المجتمع . ويعزو بعض العلماء ذلك الى ضعف الارادة . والموهوب ، في رأيهم ، هو من يعكس أبعاد المجتمع على عقليته وتفكيره وتصرفاته ثم يظهرها في ثوب جديد ، وبذلك يعيش منسجما مع المجتمع .

فضعف الارادة يؤدي الى عدم الانسجام مع المجتمع والخضوع فقط للتصور الخاص والميول الفردية . فتتغلب السليقة والطباع المباشرة على التفكير المتزن الذي هو نتيجة تفاعل الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه . فالشر الأخلاقي يكمن لدى الانسان المنطوي على نفسه والذي لا يتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه ، وينفر من العالم الخارجي ، وهذا نتيجة للجهل ، والجهل هنا ، ليس معناه عدم المعرفة ، وانما هو الاعتقاد بفكرة واضحة في النفس ، غامضة أمام الناس ، وهو أيضا نوع من الركود الفكري يجعل صاحبه غير متلائم مع من يعيش حوله ، وقد يكون نوعا من الضعف النفسي أو العضوي . وكل هذا يعدم الحرية في الانسان الذي يجب عليه التخلص من هذه العيوب ليرتفع الى العالم الانساني حيث تسود الملكات النفسية والعقلية .

خلاصة رأي العلامة « هوفدنج » في فكرة الشر الأخلاقي ، وهي ممزوجة بآراء « سقراط » و « أسبينوزا » . ويرى « هوفدنج » أنه يجب على الانسان أن يثقف نفسه ليصل الى درجة الوضوح في التفكير ، فالوضوح هو الكفيل بابعاد الشر الأخلاقي ، لأنه ينير السبيل أمام الخير .

ومن الأسباب التي تجلب الشر الأخلاقي صفة العناد ، أي الاصرار على حالة معينة تضيق الفهم الأخلاقي وتضل الانسان عن طريق الصواب . وعلاج هذا النوع من الأشخاص ينحصر في تعليمهم وتثقيفهم حتى يشعروا بخطأهم ، أو بادخالهم دور الاصلاح .

وتفكير « هوفدنج » هنا يشبه الى حد كبير تفكير العلامة « ديكارت » ، فالفضيلة والحق شيء واحد ، ومن يمكنه الوصول الى أحدهما لابد أن يصل الى الثاني . أما الغموض والابهام فهو الخطأ العقلي ، وهو لا يوجد الا عند أولئك الذين يجعلون السيادة للحس والشعور والأغراض الوضعية وبذلك تصبح نفوسهم مضطربة غير مطمئنة .

فالشر الأخلاقي لا يأتي نتيجة لضلال الارادة عن العقل ، أي لعدم خضوعهـــا لأغراض العقل الواضحة . فالعقل قبس من نور الله يرمي ، عن طريق الارادة ، الى الوصول الى الفضيلة . فمن ضل عن الفضيلة أصبح ناقص التكوين الخلقي ■

سعيد زايد — القاهرة



أيا ربة الألحان غني ورنمي ... فمنك على الأيام يحلو الترنمُ
أضيئي لنا الدرب الطويل وجددي ... معالمه يضحك على الدهر مأتم
ويفترّ مغموم وينعم معذب ... ويسعد من فوق الثرى المتنعّم
كأنكِ دمع في ثناياه راحة ... كأنك شهد لم يخالطه علقم
فياربة الألحان داوي جراحنا ... ولا تبخلي فالبخل طبع مذمم
وجودي علينا بالأناشيد سمحة ... فيأنس مهجور ويحيا متيم
وتسعد أرواح ترى فيك برءها ... وتغنم منك الصّفو ، والصفو يغنم
اذا هاجها في ثورة الحزن هائج ... فأنت لها الثّغر الذي يتبسّم
وان غالها من وثبة الدهر غائل ... رأت فيك ما يحمي ويرعى ويعصم

* * *

تجسدت الألحان حقّا وأقبلت ... تبثّ الهوى حينا وحينا تكلم
فهاتيك ليلى القلب لاحت خيامها ... وهبّت مغانيها اللطاف تجسم
يرنّ بسمعي ضحكها وحديثها ... ويسعدني منها البنان المعنّم
فعين رنت من رقبة الناس خيفة ... وعين من الاشفاق راحت تسلم
تطوف علينا بالبشاشة والرضا ... وتطوي الأسى والحزن جيش عرمرم
فلا تتنكرْ للخيالات والرؤى ... فأيسر ما يشفي النفوس التوهّم
حقائق ذقناها فذقنا مرارة ... وأحْيُنُنا من ظنّها لا تصرّم
تقضت وما فيها ابتهاج ومغنم ... ولكنها همّ ثقيل ومغرم

* * *

تعودين بالذكرى الى غابر الهوى ... وتقتحمين الغيب ، والغيب مظلم
وتفترشين القفر شوكا وجندلا ... فيرجع مهدا بالطفولة يحلم
وتمشين بالأرض العراء فترتوي ... وتمرع جنّات وتندى وتنعم
وما غاب أحبابي الذين افتقدتهم ... ولكنهم في دارة القلب خيموا
أحن الى لقياهم كل شارق ... وأشتاقهم والدمع في مقلتي دم
وأستعظم البين المُشِتّ كأنني ... « أرى عظما بالبين والصّد أعظم »
تسمعت لحن الشوق منهم وانه ... لأطرب ألحان الحياة وأرحم
سيبقى على الأيام زاد مسافر ... له من نجاواهم عزاء ومغنم
وأحلف ما أقصى الحمام أحبّتي ... ولا ابتعدوا عني ولا اعتضت عنهم
سجية نفس ترتضي الود خالصا ... وترعى الهوى ، والحب قبر مهدم

* * *

فيانغمات الفن صبّي بأضلعي ... ولا تمعني في الصّد فالصد مسقم
وغنّي يَبِتْ قلبي الى اللحن مصغيا ... يغلغل في النجوى طويلا ويسهم
تسمعت منك الشدو لا شدو مثله ... الى ظله يأوي النبوغ ويجثم
وعشت أمنّي النفس بالفرحة التي ... حلاوتها تقصي الهموم وتهزم

* * *

مهذبة الانسان مما يشوبه ... ورابضة الطبع الذي لا يقَوّم
سموت على دنيا الفنون رجاحة ... وما زالت الألحان تسمو وتعظم
ويا موسم الحبّ الذي غاب نجمه ... اذا ما سكنْتِ القلب فالقلب موسم
ربيع من الذكرى ينمنمه الهوى ... وأيّ ربيع عبقريّ ينمنم
فمي منك حوّام على نغماته ... وجفّ فمي ان كان ليس يحوّم
ويا أملي ما أنت عني بمنقض ... اذا لم تكن عمن تشكّى تترجم
ويا أملي ما أنت يوما بمسعد ... اذا أنت لم يسعد بك المتألم

* * *

رأي في نشأة الوزن والقافية

في غير ما تعصب لقومي وتاريخهم وأدبهم أعرض هذا الرأي عرضا موضوعيا مدعوما بما يؤيده من حق وصدق .

نشأتهما العربية الخالصة

لكني قبل أن أعرض طريقة نشأتهما أسارع الى تقرير أنهما نشآ نشأة عربية خالصة خالية من تأثير أمة أخرى . وذلك أن الأوزان العربية ليست لأمة من الأمم القديمة ، فمثلا كان السريان القدماء ينظمون بغير أن يلتزموا قافية واحدة ، وكان العبرانيون لا يلتزمون وزنا ولا قافية ، وربما اشترطوا القافية دون الوزن(١) فصار شعرهم في صورته الأخيرة شبيها بالسجع العربي ، ولهذا لما سمعوا القرآن الكريم — وهو ذو فواصل وتصوير — زعموا أنه شعر بالقياس الى تصورهم للشعر .

ولا سبيل الى احتمال أن الوزن العربي متأثر بالفارسي ، لأن الشعر الفارسي القديم كان مجهولا للفرس أنفسهم حينما خالطوا العرب ، بل لا يزال تاريخ الأدب الفارسي الى اليوم يجهل ما كان عليه الشعر البهلوي ، ولهذا نشأ الشعر الفارسي الجديد في القرن الثالث الهجري على غرار الشعر العربي في أوزانه وقوافيه وموضوعاته مع تحوير يسير ، حتّى أن الفرس نقلوا الأوزان العربية بأسمائها ، ونقلوا مصطلحات العروض كلها .

وليس من الصواب في شيء ما جنح اليه جرجي زيدان من أن الوزن العربي نشأ متأثرا بشعر اليونان أو الرومان ، اذ قال : « امرؤ القيس أول من أطال القصائد ، وافتنّ في نظمها ، وفتح الشعر ، وبكى ووصف .. ولعله تنبه لهذا الافتنان في أثناء أسفاره في بلاد الروم ، فسمع أشعارهم أو أشعار اليونان ، والنبيه تتفتق قريحته بالاختلاط ، فزاد اختباره ، فأدخل في الشعر ما أدخله ، وكان الشعراء في الجاهلية قلما يدخلون بلاد الروم ، وانما كانوا يقفون على الحدود في البلقاء عند بني غسان أو في الحيرة عند بني لخم والمناذرة الا قليلا » (٢) .

وهذا رأي مردود ، لأن امرأ القيس قد افتنّ قبل أن يرحل الى بلاد الروم افتنانه كله ، ولأنه قضى نحبه وهو عائد ، فضاع معه ما اقتبسه ان صح أنه اقتبس شيئا ، ولأن القصيدة العربية كانت قد نضجت ، واكتمل وزنها ، واستوت قافيتها قبل أن يرحل امرؤ القيس الى قيصر ، بل قبل أن يولد ، فالمهلهل مثلا خال امرىء القيس وأسنّ منه له قصائد طوال جياد ، وقد توفي سنة ٥٣١م وتوفي امرؤ القيس سنة ٥٤٨م تقريبا .

على أن شعر اليونان والرومان خال من القافية ، والأوزان العربية غير أوزان اليونان والرومان ، والموضوعات متغايرة ، فليس في الشعر الجاهلي ملاحم ولا مسرحيات كالّتي عند اليونان والرومان .

رأي ابن رشيق في نشأتهما

ذهب ابن رشيق الى أن العرب احتاجوا الى الغناء بمكارم أخلاقهم وطيب أعراقهم وذكر أيامهم الصالحة وأوطانهم النازحة ، وفرسانهم الأمجاد ، وسمحائهم الأجواد ، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا ، لأنهم شعروا به أي فطنوا (٣) . لكن هذا الرأي يفضي الى أن العرب اهتدوا الى الاوزان عن تعمد وقصد ومواضعة ، وليس هذا بصحيح ، لأن نتاج الالهام — والشعر إلهام — لا يخضع الى الموافقة والمواضعة .

ثم لماذا توهموا هذه الأوزان عينها ، ولم يتوهموا غيرها ؟ ولماذا لم يقتصروا على بعضها دون بعض ؟ وكيف تواضعوا عليها واتفقوا مع اختلاف ديارهم وتباعد أوطانهم وتحضر بعضهم وتبدّي بعضهم ؟

رأيي في نشأتهما

لم ينشأ الوزن والقافية فجأة ولم ينشآ مصادفة بل تدرجا في نشأتهما وفي نموهما واكتمالهما في عدة مراحل .

(أ) فقد تكلم العرب بالنثر وسيلة للتفاهم وتحقيق المنافع ، ثم تأنق بعضهم في تعبيره ، تساميا بالمقال ، أو تصويرا لعاطفة جياشة ، فتوازن كلامه توازنا نشأ منه السجع ، فأعجبه وقعه ، فأكثر هو وأمثاله من هذا الطراز ، وحببه اليهم ما له من تأثير في النفوس ورنين في الأسماع ، ولهذا كان من خصائص الممتازين بالقول الرائع ، والمعبرين عن عاطفة ، والراغبين في التأثير والاستمالة ، مثل الرؤساء والكهان والسحرة ، ليجذبوا بموسيقاه قلوب الناس ، أو ليموهوا عليهم ، ويمتلكوا مشاعرهم ، ويخدروا وعيهم ، وليحدثوهم بما يزعمون أنهم العليمون به ، فيسمع الناس عنهم مصدقين لما يقولون ، غير متبصرين في نقد ما يسمعون .

(ب) ثم تغنى الناس بهذا الكلام المسجوع ، لأنه أكثر ملاءمة للتغني وللتلحين من غير المسجوع .

وقد كان الغناء من دأب العربي وهو يقطع المسافات الطوال على ظهر راحلته تمشي به متئدة أو مرقلة وهو على ظهرها يهتز هزات تبطيء أو تسرع ، وتطول أو تقصر ، وكان الغناء من عاداته وهو يهجم في الحرب فيجري أو يثب ، ومن شأنه وهو يمتح الماء من البئر فيرتفع وينخفض ، ومن دأبه وهو يرقص ، ومن لوازمه وهو يمارس عملا تصحبه عاطفة أو تعوزه تسلية ، تنزل به النازلة فينفس عن نفسه بالغناء ، وتبسم له الحياة فيصور حبوره في غناء ، وهو اذ يغني بكلام مسجوع يتقطع صوته وفقا لحركات جسمه وهزات نفسه ، وتتقطع كلماته ومقاطعه الى أجزاء متّزنة منسجمة .

ومعنى هذا أن التغني بالكلام المنثور عسير ، لأنه لا يطاوع الترجيع ، ولا يلين

بقلم: الدكتور أحمد الحوفي

للترنيم ، فلا تستحليه الأذن ولا يستسيغه اللسان .

فمن الطبيعي أن يتغنى الناس بكلام موزون يساير ألحان الغناء ، وتطرب له الآذان .

(ج) ولهذا تغنوا بالسجع ، لما فيه من موسيقى الوقفات ، ثم حاولوا أن يخضعوا هذه اللغة المسجوعة الى النغمات التي تطابق العاطفة ، وتطاوع التغني ، فتخيروا الكلمات المتسقة مع النغم الذي في النفس ، وتصرفوا في بعضها بتحريك الساكن أو تسكين المتحرك ، وبقصر الممدود أو مد المقصور ، وبترخيم بعض الأسماء ، وبتنوين مالا ينون ، الى أشباه هذا مما يسمى ضرورات شعرية .

وتصرفوا في الأوزان نفسها بحذف وزيادة وتحريك وتسكين ، مما يعد من الزحافات والعلل العروضية .

(د) فصارت اللغة التي يتغنى بها الناس لغة موزونة تلائم حركاتها وسكناتها ومداتها ووقفاتها الأنغام التي يتغنون بها ، والألحان التي يرجعونها ، والنفس وهو يطول أو يقصر ، ويسرع أو يبطيء ، فنشأ الوزن منوعا كتنوع التلحين الفطري ، واستراحت النفوس الى هذا التقطيع ، وجعل المتغنون به يولونه من عنايتهم وتجويدهم ، وجرت به الألسنة محتفية ملتذة ، ومضى على ذلك دهر كان كفيلا بنقلته من الطفولة الى الصبا .

(هـ) ونشأت القافية هذه النشأة ، لأنها كانت في أول أمرها سجعة ، ثم التزمت في أواخر الأبيات كلها تمشيا مع الغناء ، اذ أنها قوية الشبه بوقفات المغنين ، ونهايات العازفين ، وسكنات الناقرين على الدف ، والمصفقين بالأكف ، والموقعين بأرجلهم في الرقص ، فهي نهاية النفس في البيت ، واستراحة من بيت الى بيت ، وهي مضافة الى الوزن تكسب الشعر رنينا ، وتزيده موسيقى . وقد اسهلت القافية للشعر العربي ، لغنى اللغة بالمفردات الكثيرة ذوات النهايات الواحدة ، حتى أنه ليس من الغلو أن نقول أن الكلمات العربية التي تنتهي بحروف متحدة يتعذر نظيرها في سائر اللغات من حيث الكثرة ، فاذا جاز للافرنجي أن يصوغ شعره شبيها بالرجز العربي على أن لكل شطرين قافيتين متحدتين ينتقل منهما الى غيرهما ، وقد يضطر الى تكريرهما في القصيدة الواحدة ، واذا جاز له أن يصوغ شعره غير مقفى أية تقفية ، فان عذره أن لغته لا تسعفه بما تسعف به اللغة العربية شعراءها .

علاقة الشعر بالغناء

يؤيد هذا الرأي أن الشعر ارتبط بالغناء ارتباطا وثيقا منذ عهد قديم لأنهما يصدران عن العاطفة ويعبران عنها ، ولأن الموسيقى أساس فيهما معا .

وظواهر هذا الارتباط كثيرة في أدبنا العربي القديم وفي غيره من الآداب . فقد كان شعراء العصر الجاهلي يغنون شعرهم وينشدونه وهم يلقونه ، كما روي أن المهلهل تغنى بقصيدته التي مطلعها :

طفلـة مـا ابنة المحلـل بيضـاء
لعـوب لذيـذة فـي العناق (٤)

والسليك بن السلكة غنى بقصيدته :

يا صاحبيّ الا لا حـيّ بالـوادي
سوى عبيـد وآم بـين اذواد (٥)

وكان الأعشى يغني بشعره ، وكان العرب يسمونه صناجة العرب (٦).

والشاعر الجاهلي مزرّد بن ضرار الذبياني يهدد أعداءه بهجاء اليم يتغنى به الساري ويحدو به حادي الأبل :

زعيـم لمـن قاذفتـه بـأوابـد
يغني بها الساري وتحدى الرواحل(٧)

وأبو النجم — في العصر الاسلامي — يطلب من قينة أن تغني ببعض ما كان يتغنى به امرؤ القيس أو عمرو :

تغني فان اليـوم يوم مـن الصبا
ببعض الذي غنى امرؤ القيس أو عمرو

وقد قال عمر بن الخطاب للنابغة الجعدي: أسمعني بعض ما عفا الله لك من غنائك ، فأسمعه أبياتا له ، فقال عمر : وانك لقائلها ؟ قال : نعم ، قال عمر : لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب . (٨)

وظلت اللغة العربية محتفظة بلفظ الانشاد للدلالة على القاء الشعر وان لم يصاحبه غناء ، مما يدل على صلة عريقة بين هذين الفنين ، قال حسان بن ثابت :

تغن بالشعر اما كنـت قائلـه
ان الغناء لهـذا الشعر مضمار (٩)

ولم يكن الشعر العربي وحده هو المتصل بالغناء هذا الاتصال الوثيق ، فقد كان الشعر اليوناني كذلك ولهذا أطلق اليونان على الشاعر كلمة Aede أي المغني في القرن الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد ، وكان « هومير » يتغنى بالالياذة على آلة موسيقية خاصة .

على أن الشعر الغنائي استمد تسميته هذه من نسبته الى كلمة Lyre وهي آلة موسيقية قديمة تسمى Lyric Poetry أي الشعر الغنائي . وفي اللغة الانجليزية كلمة Bard معناها الشاعر المنشد الذي يؤلف الشعر ويغنيه ، وهو يحمل معه أداة موسيقية يعزف عليها حين يلقي شعره ويغنيه .

ثم نشأت باوروبا في العصور الوسطى جماعات من الشعراء الغنائيين أطلق عليهم في غربي أوروبا وفي وسطها التروبادور ، وكانوا كثيرا ما يتغنون بشعرهم أنفسهم .

٥ — ولست أشك في أن هذه النشأة الغنائية لشعرنا العربي هي التي مكنت الخليل ابن أحمد من أن يهتدي الى علم العروض ، لأنه لو لم يكن عالما بالموسيقى والتوقيع ما تهدّى الى الكشف عن قواعد هذا العلم ، وحسبنا أنه ألف كتابا في النغم ذكره ابن خلكان(١٠) وكان اخوان الصفا على حق اذ رأوا أن الموسيقى مماثلة لقوانين العروض (١١) ■

د. أحمد الحوفي — القاهرة

(٤) الأغاني ٥/٥١ (٥) الأغاني ١٨/١٣٤ [illegible]

ادارة الآثار في المملكة العربية السعودية



درهم فضي من العصر الأموي عثر عليه في المنجارة بمنطقة جيزان كتب على وجهه وفي وسطه : ضرب هذا الدرهم بواسط سنة ست وثمانين للهجرة . لا اله الا الله وحده لا شريك له . وكتب على ظهره : الله احـــد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

المملكة العربية السعودية بلد التاريخ، تلاحقت الحضارات الزاهية على أرضها منذ أحقاب بعيدة ، وخلفت وراءها آثارا عميقة لا تزال تتردد أصداؤها فيما تناقله الرواة والمؤرخون من قصص ممتعة امتزج فيها التاريخ بالاسطورة والخيال بالحقيقة . وقد أشارت الكتب السماوية وفي طليعتها القرآن الكريم بشكل واضح الى تلك الأقوام التي عاشت في كنف الجزيرة العربية من قديم الزمان ثم اندثرت . فتلكم أخبار عاد وثمود ومدين وأصحاب الأيكة وأصحاب الأخدود ، مبثوثة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم . فانى سرت في الجزيرة العربية تشاهد من آثار الأولين ما لا يقع تحت حصر . ففي مدائن صالح ، مسرح قصة ثمود ، البيوت المنحوتة ، في الصخر والمزينة مداخلها بالنقوش الرائعة ، وفي نجران ترتفع أطلال مدينة الأخدود ، وفي دومة الجندل بقايا حصن مارد ، وفي الأفلاج أطلال مدينة الهيصمية ، وفي الخرج آثار مدينة اليمامة ، وفي فيْد قصر خراش وبرك زبيدة ، وفي المنطقة الشرقية آثار هجر والجرهاء والعقير وتاروت والجبيل وثاج وجاوان ، وفي مدين بئر شعيب التي التقى عندها موسى عليه السلام ، بزوجته ابنة نبي الله شعيب ، وغير ذلك كثير .

وادراكا من حكومة المملكة العربية السعودية لأهمية ربط الماضي بالحاضر لشق طريق المستقبل، فقد أولت المناطق التاريخية عناية كبيرة ، فأوجدت ادارة الآثار بوزارة المعارف لتشرف على هذه المناطق ، وتضطلع بعمليات البحث والتنقيب والحفر ، للكشف عن مخلفات الحضارات القديمة واستنطاقها لاستكمال السلسلة الطويلة التي تؤلف حلقاتها قصة الانسان على الأرض .

●



لوحة مسافات من الحجر الأسود
عثر عليها في طريق الحج المعروف بدرب
زبيدة ، ويعود تاريخها الى القرن الثالث الهجري وتقرأ
كما يلي : ميل من البريد وهو على اثنين وستين بريد من الكوفة .

مولد إدارة الآثار

جزيرة العرب اليوم هي محط أنظار المؤرخين والباحثين وعلماء الآثار الذين تحدوهم الرغبة الى التعرف على معالم تلك الحضارات العريقة التي تعاقبت عليها لأحقاب طويلة ، والوقوف على الآثار والنقوش المنتشرة في أرجائها . وقد وفد الى الجزيرة العربية العديد من هؤلاء الباحثين والمستكشفين وقطعوا النجاد والوهاد في رحلات استطلاعية علمية ، وسجلوا مشاهداتهم في أسفار قيمة تعتبر من المراجع الأساسية لكل دارس وباحث . وقد تنبهت حكومة المملكة العربية السعودية الى الكنوز الأثرية التي تختزنها أرضها الطيبة ، فبادرت عام ١٣٨٣هـ الى انشاء « ادارة الآثار » بوزارة المعارف بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ٧٢٧ الصادر في الثامن من شهر ذي القعدة عام ١٣٨٣ . وقد حدد القرار الأهداف والغايات المتوخاة من تأسيس ادارة الآثار . ولعل أبرز تلك الأهداف هو جمع مخلفات الماضي التي تعكس أنماط الحياة في البلاد وتاريخها وتراثها الحضاري والديني ، وعرضها في متاحف ومعارض لتعريف المواطنين بتاريخ بلادهم القديم . هذا ويقتضي القرار زيارة واستكشاف المواقع والمباني الأثرية في شتى أنحاء المملكة تمهيدا لعمل سجل عام للآثار يحتوي على أدق وأوفر المعلومات التاريخية عن كل موقع ومبنى ، ويكون مدعما بالصور والخرائط والرسوم . ومن بين الأهداف الأخرى الحيلولة دون اتلاف أو هدم أو تخريب المواقع الأثرية عن طريق وضع أنظمة وقوانين لهذا الغرض ، وتعيين حراس للمناطق الأثرية المهمة . كما يدعو القرار ادارة الآثار الى صيانة المباني الأثرية وتقويتها ضد عوامل

الزمن ، وتحسين وتجميل المواقع الأثرية تنشيطا لفعالياتها السياحية ، ثم العمل على الكشف عن غوامض تاريخ البلاد والحلقات المفقودة في التسلسل الزمني للعصور التاريخية ، عن طريق اجراء حفريات في المواقع الأثرية البارزة التي قد تسفر عن نتائج طيبة يتم بها توضيح الحضارات القديمة التي عرفتها الجزيرة عبر تاريخها الطويل ، ومن ثم تعريف المواطنين وغيرهم بهذه الحضارات من خلال ما يعرض من مكتشفات في متاحف ومعارض دائمة أو متنقلة .

ولما كانت المملكة العربية السعودية تحتل رقعة جغرافية واسعة تزخر بالمخلفات الأثرية فان المهام التي القيت على كاهل هذه الادارة الناشئة جسيمة . ومع ذلك فقد استطاعت بجهازها البسيط في سنيها الأولى المحافظة على الآثار بتعيين حراس للمواقع الأثرية البارزة لحماية تلك المناطق من أي عبث أو تشويه . وقد اتجهت الادارة منذ انشائها الى تأجيل القيام باجراء الحفريات الأثرية الواسعة نظرا لما يتطلبه ذلك من امكانات علمية وفنية ومادية لم تتوفر لدى تلك الادارة الناشئة حينذاك . ولذا ركزت جهودها على عمليات المسح الأثري والقيام برحلات استكشافية وتسجيل المواقع والمباني الأثرية بقصد تحضير سجل عام للآثار في المملكة . وراحت ادارة الآثار تسير بخطى وئيدة بسبب تقلص جهازها الفني وافتقارها الى العديد من أجهزة المعامل والمختبرات الفنية التي لا غنى عنها لأية ادارة آثار حديثة . وبقيت على تلك الحال حتى منتصف عام ١٣٩٢ حين صدر المرسوم الملكي الكريم رقم م/٢٦ الصادر في ١٣٩٢/٦/٢٣ ، الذي تم بموجبه المصادقة على نظام الآثار ، وانشاء المجلس الأعلى للآثار . ويدل ذلك المرسوم الملكي الكريم على مدى اهتمام جلالة الملك فيصل المعظم بتاريخ الجزيرة العربية ، والمحافظة على تراثها العريق فقد وضع ذلك المرسوم اللبنات الأساسية لادارة الآثار . كما رسم نظام الآثار ، الذي يشمل سبعة فصول تتألف من ٧٩ مادة ، الخطوط العريضة التي تسير عليها وبذلك غدت ادارة الآثار جهازا شبه مستقل ، له ميزانية خاصة ضمن النطاق الهيكلي لوزارة المعارف . هذا وقد وضعت مؤخرا خطة خمسية تبدأ من عام ٩٦/٩٥ تهدف الى تطوير جهاز الآثار ليصبح على درجة كبيرة من الكفاءة والمقدرة يستطيع معها القيام بالمهام الكبيرة المنوطة به .



التنقيب عن الآثار عملية شاقة تشترك فيها كفاءات علمية مختلفة ، وها هو المساح الأثري يستخدم الثيودوليت في عمل مخطط كنتوري للموقع .

المجلس الأعلى للآثار

ينعكس اهتمام الدولة بالآثار جليا من ايجاد المجلس الأعلى للآثار الذي يولي ادارة الآثار عناية خاصة ، استطاعت من خلالها انجاز أعمال بارزة في فترة وجيزة لا تزيد عن السنتين . ويتألف المجلس الأعلى للآثار حاليا من معالي وزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ رئيسا ، ووكيل وزارة المعارف للشؤون الادارية والتعليمية سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد نائبا للرئيس ، وعضوية كل من مندوب عن وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، ومندوب عن وزارة الداخلية، ومندوب عن وزارة المعارف ، ومندوب عن وزارة الحج والأوقاف ، ومندوب عن وزارة الاعلام ، ومدير ادارة الآثار ، بالاضافة الى عضوين يختارهما رئيس المجلس من بين المواطنين المعروفين بمكانتهم العلمية المرموقة واهتمامهم بالآثار والحضارات على أن تكون مدة عضويتهم سنتين قابلة للتجديد . والهدف من ايجاد المجلس الأعلى للآثار هو تجميع أكبر قدر من الخبرات لضمان وصول ادارة الآثار الى غاياتها المرجوة . ويختص المجلس بالنظر في مسائل كثيرة منها اقتراح السياسة العامة لادارة الآثار في مجالات صيانة وترميم وتجميل وحفر المناطق الأثرية ، وتعديل نظام الآثار والقرارات الوزارية، وبيع واهداء وتبادل واعارة وقبول هبات الآثار، ودراسة التقرير السنوي الذي يضعه مدير ادارة الآثار عن أعمالها واقتراح ما يراه بشأن المسائل الواردة فيه ، وانشاء متاحف جديدة ومعالجة القضايا المتعلقة بالآثار بناء على توصيات مدير الآثار . ويعقد المجلس الأعلى للآثار اجتماعين على الأقل كل عام وكلما دعت الحاجة الى ذلك .

أقسام ادارة الآثار والقوى العاملة فيها

راحت ادارة الآثار منذ صدور نظام الآثار وتأليف المجلس الأعلى للآثار ، تنظم جهازها وتعززه بالكفاءات الادارية والفنية والخبرات العلمية الوطنية والعربية . ولعل الطاقات الشابة المتوفرة لدى الادارة وعلى رأسها الأستاذ الدكتور عبد الله حسن مصري ، مدير ادارة الآثار ، هي التي تدفع بالجهاز الأثري خطوات واسعة نحو التكامل وتحقيق أهداف خطة التطوير المقررة .

وتشتمل ادارة الآثار التي تحتل مؤقتا جناحا في أحد مباني معهد العاصمة النموذجي بالرياض ، على وحدات مختلفة تنطوي تحت « القسم الفني » ثم المتحف ، وقسم التسجيل والتوثيق والادارة . وفي مقابلة لنا مع الأستاذ ياسر أحمد طباع ، رئيس القسم الفني ، أوضح لنا المهام الرئيسية المنوطة بهذا القسم بقوله : ان عملنا ينحصر في تسجيل وتوثيق المعلومات من القطع الأثرية التي يتم العثور عليها ، تمهيدا لوضعها في المتحف . أما بالنسبة للمباني الأثرية فاننا بعد تسجيلها ووضع مخطط تفصيلي لها ، نعكف على دراسة مواد البناء التي استخدمت فيها ، وبمعنى آخر ندرس الوضع السكوني « Static Studies » لها ، تمهيداً للقيام بعمليات الترميم الخاصة بها واستعادة الأقسام المتهدمة منها بشكل يحفظ لها رونقها وطابعها المعماري . ولما كانت طبيعة العمل بين فروع القسم متداخلة لذا تخضع نشاطاتنا لعملية تنسيق دقيقة بين فروع القسم لكي نتوصل الى أفضل النتائج . ففي حالة اكتشاف قطعة أثرية في احدى الحفائر تصور

حال العثور عليها في الموقع ذاته ، ثم تسجل على بطاقة الحقل « Field Identification Label » جميع المعلومات التفصيلية عنها ، كاسم المنطقة التي اكتشفت فيها القطعة ، والطبقة التي وجدت فيها في الحفرية ، وتحديد مكان العثور عليها بالنسبة لنقاط ثابتة في الحفرية ، وتاريخ العثور ، واسم البعثة الأثرية ، وطريقة العثور ، ونوع القطعة الأثرية وأوصافها ومقاييسها وعصرها ومصدرها ، والمادة المصنوعة منها .

بعد ذلك ترسل القطعة الى قسم التصوير حيث يقوم المصور في ادارة الآثار بتصوير القطعة على حالتها الطبيعية من زوايا مختلفة . وتعاد الى رئيس القسم الفني لتعطى رقما خاصا بها ولتقرير الفحوصات المخبرية اللازمة لمعرفة تركيبها الكيميائي وعمرها وحالتها بغية اجراء عمليات التقوية والترميم لها . ثم تنقل القطعة الى قسم الترميم والمعالجة الأثرية ليرى المرمم فيها رأيه ويسجل ملاحظاته عليها، بعدها يقوم بتنظيفها تنظيفا مبدئيا من الأتربة العالقة بها وما شابه ذلك، لتحال بعد ذلك الى قسم الرسم . وهنا يقوم الرسام برسم القطعة بالألوان أحيانا وبالأسود أحيانا أخرى ، وذلك لاظهار التفاصيل الدقيقة لها التي تساعد في عملية ترميمها . وهذا يحتاج من الرسام قدرا كبيرا من الكفاية والدقة والتركيز والأمانة في النقل .

الرسام يبرز التفاصيل الدقيقة للقطعة الأثرية قبل أن يرسلها الى المرمم لمعالجتها .

وتتلخص مهام هذا القسم في قيامه بأعمال التسجيل العلمي عن طريق عمل رسومات تفصيلية دقيقة لمختلف القطع الأثرية المنقولة كالأواني الفخارية والخزفية ونقوشها وزخارفها ، يستوي في ذلك القطع الموجودة في ادارة الآثار أو التي يتم الكشف عنها أو شراؤها ، وكذلك النقوش الحجرية والجصية والخشبية والكتابات والمسكوكات وما الى ذلك . كما يقوم قسم الرسم بأعمال التسجيل المعماري للمباني الأثرية القائمة أو المكتشفة في مختلف المناطق وما تحتوي عليه من نقوش أو زخارف بالاضافة الى رفع وتسجيل الرسومات المعمارية والهندسية لأعمال الحفائر والتنقيبات وما تسفر عنه من مكتشفات اعدادا للنشر العلمي .

بعد أن ترسم القطعة تعاد الى قسم الترميم والمعالجة الأثرية ليتولى المرمم عملية ترميمها أو تقويتها لتستعيد القطعة شكلها الأصلي التقريبي. وهذا العمل يتطلب من المرمم الفنان براعة ودقة فائقتين ، والماما واسعا بالخامات والعناصر الأولية التي تتكون منها القطع الأثرية . ويعتبر علاج وصيانة الآثار الرسالة الأساسية لادارة الآثار التي قامت للحفاظ على التراث الأثري والحضاري للمملكة العربية السعودية . اذ أنه بدون علاج الآثار وصيانتها يتعذر على الباحثين من علماء الآثار والدارسين لمراحل التاريخ الانساني والمهتمين بشؤون الثقافة العامة تأدية رسالتهم على الوجه الأكمل . والترميم هو أحد الفنون الجميلة التطبيقية كالنقش والنحت والزخرفة والخزف وغيرها . ويشرح لنا الأستاذ محمد الطيب علي ، مرمم الآثار في الادارة الطريقة المتبعة في ترميم الآثار فيقول : قبل البدء في عمليات العلاج والترميم لأي أثر على اختلاف مادته ، فاننا ندرس المعلومات الوصفية المتعلقة بالأثر وذلك ما يسمى بالفحص المبدئي أو النظري . ثم تسجل جميع المرئيات كتابة قبل اجراء عملية تحليل كيميائي لما قد يكون على سطح الأثر من مخلفات عضوية لتحديد الطريقة المناسبة في تنفيذ خطوات العلاج . بعد ذلك يصور الأثر فوتوغرافيا لاثبات حالته قبل العلاج والترميم . ومن ثم نبدأ في تنفيذ خطوات العلاج ، بازالة المخلفات العضوية عن الأثر اذا وجدت بما يناسبها من المحاليل الكيميائية ، كما تزال عنه الأتربة والعوالق الأخرى . واذا كان الأثر مصابا بالأملاح فاننا نستخدم طرقا علاجية خاصة باستخلاص تلك الأملاح . أما اذا كان الأثر مشتملا على فواصل أو فوالق ، عندها نعمد الى تحضير معجون يعمل على تماسك أجزاء الأثر وينسجم بلونه معه . وفي حالة تهشم الأثر الى مزق صغيرة ، عندها يحتاج الأمر الى عناية فائقة ودراسة متفحصة لاعادة كل كسرة الى مكانها الأصلي في محاولة لاستعادة الأثر باستخدام مواد اللصق المناسبة . وفي بعض الحالات تتطلب بعض القطع الأثرية استكمال أجزائها المفقودة، ويتم ذلك بتحضير مادة ملائمة لمادة الأثر ذاته فخاريا كان أو خزفيا أو حجريا أو خشبيا ، ويراعى في بناء الجزء المفقود التناسق الفني بينه وبين القطعة الأثرية ليضفي عليه الاصالة والقيمة التاريخية . وكثيرا ما تعالج حالات التآكل وضعف سطوح القطع الأثرية بالمحاليل الكيميائية المقوية . هذا ويميل المرمم في كثير من الأحيان الى عزل القطعة الأثرية برشها باحدى المواد المثبتة للذرات والعازلة في الوقت ذاته لتأثير العوامل الجوية المحيطة بها .

وكما أن لكل فن من الفنون أدواته التي تستخدم في ابراز معالمه وتشكيل مادته ، فان فن الترميم والمعالجة الأثرية له أدواته ومواده من طبيعية وكيماوية . ان تقنية الترميم الحديث تعتمد أساسا على ما تقدمه الأبحاث العلمية في هذا المجال من فحص بالأشعة الى تصوير



عملية ترميم القطع الأثرية تتطلب ذوقا رفيعا ودقة متناهية في مزج الألوان وخلط المواد ليكتسب الأثر اصالته الأثرية .

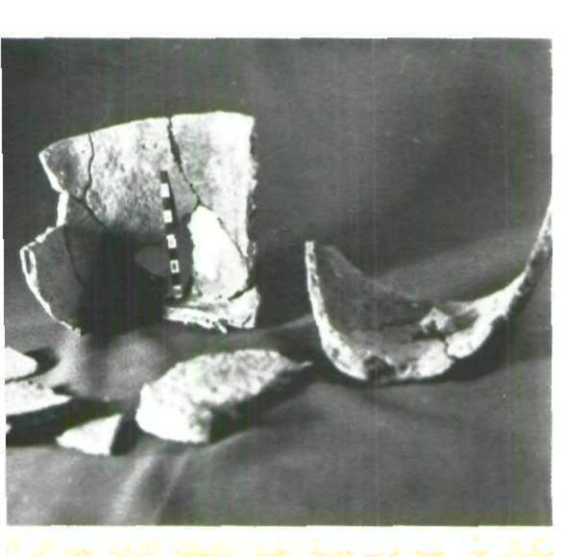
بالفوتوجراميتر الى غير ذلك مما لا يقع تحت حصر .

وبعد أن يرمم الأثر بالطرق الآنفة الذكر ، يصور لاثبات حالته بعد اجراء عمليات الترميم والعلاج له ، ثم يرسل الى أمين المتحف حيث يقوم قسم التسجيل والتوثيق بجمع كل المعلومات المتوفرة عن الأثر لوضعها في بطاقة معدة لهذا الغرض تثبت عليه ، ليستفيد منها الباحثون والدارسون . ويقرر أمين المتحف فيما اذا كانت القطعة الأثرية ستحفظ في المستودع أو تعرض في قاعات المتحف ، وفي كلتا الحالتين تعطى رقما متسلسلا لتسهيل عملية استخراجها والوصول اليها .

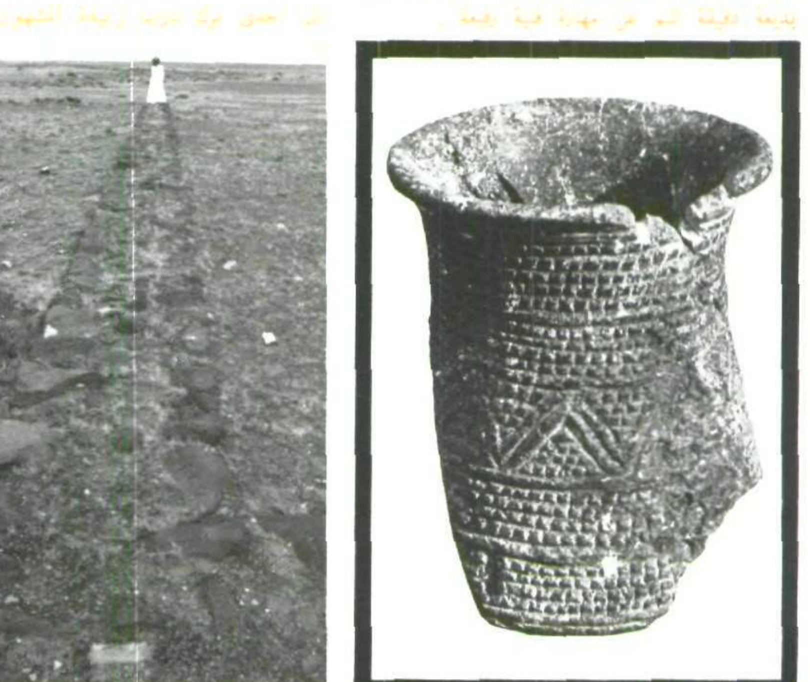
وبالاضافة الى فروع القسم الفني التي سبق ذكرها ، هناك قسم الهندسة والمسح الأثري والاملاك الذي يقوم بدوره جنبا الى جنب مع بقية الأقسام الفنية بالادارة . فمهندس الآثار يتولى دراسة الأثر من الناحية الهندسية والمعمارية ويقرر أنجع الوسائل لترميم الأثر . أما المساح الأثري فتقع عليه مسؤولية توفير الخرائط المساحية وخرائط الأملاك والمناطق الأثرية ، تمهيدا للدراسة واعدادا للبحث والتصويـر والتنقيب والحفر . فنراه يرافق خبير الآثار للوقوف على معالم المواقع الأثرية المكتشفة حديثا لانجاز مخططات موقعية للآثار تدعم التقرير الاستكشافي الطوبوغرافي . ويقوم المساح بتعيين المواقع على الخرائط الجيوديسية للمنطقة ، وعمل مخططات تفصيلية ومقاطع دقيقة للمواقع الأثرية لابراز الحياة الحديثة والقديمة المجاورة للموقع الأثري . أما بالنسبة للمسح الأثري للأملاك فيقوم المساح برفع الأراضي أو العقارات المجاورة للآثار تمهيدا لاستلام المناطق الأثرية وحمايتها . وكثيرا ما يرافق المساح الأثري البعثات الأثرية وعلماء الآثار لتقديم المساعدة لهم . وعلاوة على ذلك فان المساح يربط بين العمل الحقلي والمكتبي فيقوم باجراء الحسابات والرسم والتحبير وحفظ وتنظيم الخرائط المساحية على اختلاف أنواعها .

وفي مجال المسح الأثري هناك برنامج ضخم للقيام بمسح أثري شامل للمملكة لحصر ومعرفة المعالم والمناطق والمواقع الأثرية في أرجائها باستخدام الأساليب والطرق العلمية الحديثة . وسيشرع في هذا البرنامج بعد الدراسات التمهيدية في العام المالي ٩٦/٩٥ . ونظرا لاتساع رقعة المملكة العربية السعودية فقد ارتأت الادارة تقسيم المملكة الى ست مناطق تسهيلا لعمليات المسح الأثري وهي : المنطقة الشرقية ، والمنطقة الشمالية المحصورة بين الدهناء شرقا والمنطقة الغربية غربا وحدود المملكة شمالا ونجد جنوبا وتشمل القصيم وحائل وسكاكا والجوف ، والمنطقة الشمالية الغربية وتشمل منطقة الساحل الشمالي الغربي الى خط عرض المدينة المنورة وتمتد نحو ٢٥٠ كيلومترا الى الشرق وتضم مواقع اثرية بارزة منها مدائن صالح وتيماء وقرية وغيرها ، ومنطقة الساحل الغربي من خط عرض المدينة المنورة الى حدود المملكة جنوبا بعمق ٢٥٠ كيلومترا الى الشرق وتضم مكة المكرمة وجدة والطائف وجيزان ، والمنطقة الجنوبية الغربية الداخلية وتضم عسير ونجران ومشارف الربع الخالي الشمالية الغربية والسليل ، والمنطقة الوسطى وتشمل جميع نجد .

وقد أوضح لنا سعادة الدكتور عبد الله حسن مصري سبب اختيار المنطقة الشرقية كأول منطقة يجري المسح الأثري لها قائلا : لقد سلطت الأضواء على هذه المنطقة أكثر من غيرها بحكم احتكاكها المباشر بالشرق والغرب منذ أقدم الأزمنة ، ثم انتشار هواية البحث عن الآثار فيها ، جعلنا نضعها على رأس القائمة كمنطقة معروفة أثرياً أكثر من

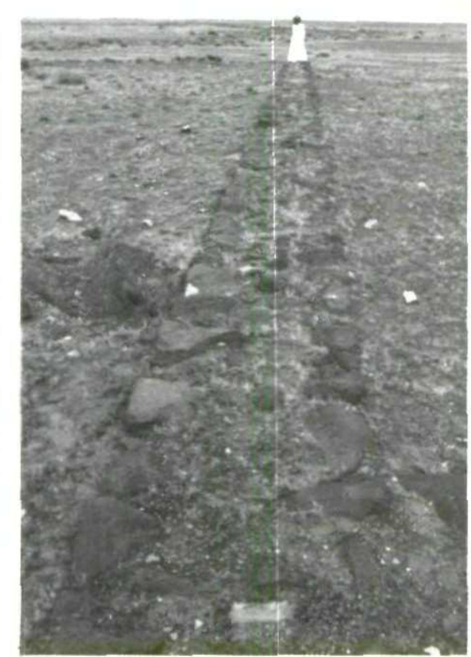


مكيال [illegible] قرب مدينة [illegible] بالمنطقة الشرقية [illegible]



آنية من الحجر الصابوني المنقوش ، ذات زخارف بديعة دقيقة تنم عن مهارة فنية رفيعة .





قناة واضحة المعالم في منطقة [illegible] الأثرية التي [illegible]



[illegible] من الحجر الصابوني التي اكتشفت في المنطقة .



الثالث قبل الميلاد . والمكيال يشاهد قبل عملية الترميم وبعدها.

غيرها . ونأمل أن تغدو المنطقة الشرقية نموذجا يحتذى لمسح المناطق الأخرى . هذا وسيتم تنفيذ مشروع المسح الأثري الشامل باشراف تام من قبل ادارة الآثار ، وهذا لا يمنع تعاوننا مع خبراء الآثار العالميين والهيئات المختصة في هذا المجال كاليونيسكو وغيرها .

البحوث العلمية الأثرية وأعمال البعثات الأجنبية

لما كانت المملكة مهد حضارات عريقة فانها تحتوي على خلفية أثرية ذات أهمية عظيمة للباحثين والمؤرخين للعصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ . ولهذا فقد اجتذبت أنظار العديدين من المهتمين في الكشف عن تراثها الحضاري وفك الغموض الذي يكتنف الصلات بين الحضارات التي تعاقبت على أرض الجزيرة وبين الحضارات التي قامت في بلاد ما بين النهرين والهلال الخصيب ووادي النيل . ومن بين المستكشفين الذين وفدوا الى الجزيرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر ، «تشارلز دوتي-Charles M. Doughty»و«تشارلز هوبر – Charles Huber» و«جوليوس يوتنج – Julius Euting» وقد جابوا شمال غرب الجزيرة العربية حتى بلغوا مدينة حائل . وقد سجل « دوتي » ما شاهده في مؤلف قيم أسماه « Travels in Arabia Deserta » واكتشف دوتي عام ١٨٧٦م عددا من المقابر البيزنطية المحفورة في مدائن صالح ورسمها ونقل نقوشها . وعثر هوبر في تيماء على الحجر المشهور المحفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس ويعرف ذلك الحجر بمسلة تيماء ، وقد سجل على جانب منها بالخط الآرامي أن كاهناً مصرياً وصل الى تيماء ونشر فيها بعض معتقداته الدينية ، ونقش على الجانب الآخر من المسلة صورة لمعبود بابلي . ويرجع تاريخ هذه المسلة الى ما بين القرنين السادس والخامس ق . م . وفي المتحف الأثري بكلية الآداب في جامعة الرياض نسخة جبسية لهذه المسلة . كما عثر هوبر على وثائق آرامية قديمة تدل على قيام مستعمرة آرامية تجارية في تيماء حوالي القرن الخامس ق.م . واكتشف يوتنج في العلا خمسا وعشرين قطعة من نقوش معينية تنسب الى المستعمرة المعروفة باسم « معين مصران » كما وجدت نقوش لحيانية عديدة فيها ذكر لملوك لحيان . وفي مطلع القرن العشرين أخذ عدد المهتمين بماضي الجزيرة يتزايد تدريجيا . فهذا العلامة التشيكي «موسل – Alois Musil» يقوم في الفترة ما بين ١٩٠٨ و ١٩١٤ بسلسلة من الرحلات الاستكشافية التي ألقت مزيدا من الضوء على تاريخ الجزيرة وكنوزها الأثرية ، لا سيما الأجزاء الشمالية منها ، وضمنها في عدة مؤلفات منها « الحجاز الشمالي – The Northern Hegaz» ، ونجد الشمالي –Northern Negd » والصحراء العربية – Arabia Deserta» ثم جاء العالمان الفرنسيان«جوسين—A. J. Jaussen» و«سافيناك – R. Savignac» اللذان قاما بثلاث حملات استكشافية في الأعوام ١٩٠٧ و ١٩٠٩ و ١٩١٠ للمنطقة الشمالية الغربية ، وتفحصا الآثار والنقوش في كل من تبوك ومدائن صالح والعلا وتيماء . وقد اتسم عملهما بالدقة البالغة حتى أن تقريرهما الواسع المعروف بـ «Mission Archeologique en Arabie»يعتبر حجر الزاوية لأية أبحاث أو دراسات مستقبلية تتعلق بماضي المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية . وفي أوائل العشرينات راح الرحالة الانجليزي «جون فلبي—J. B. Philby» يجوب أرجاء المملكة في رحلات متأنية سجل خلالها مشاهداته في مؤلفات كثيرة منها



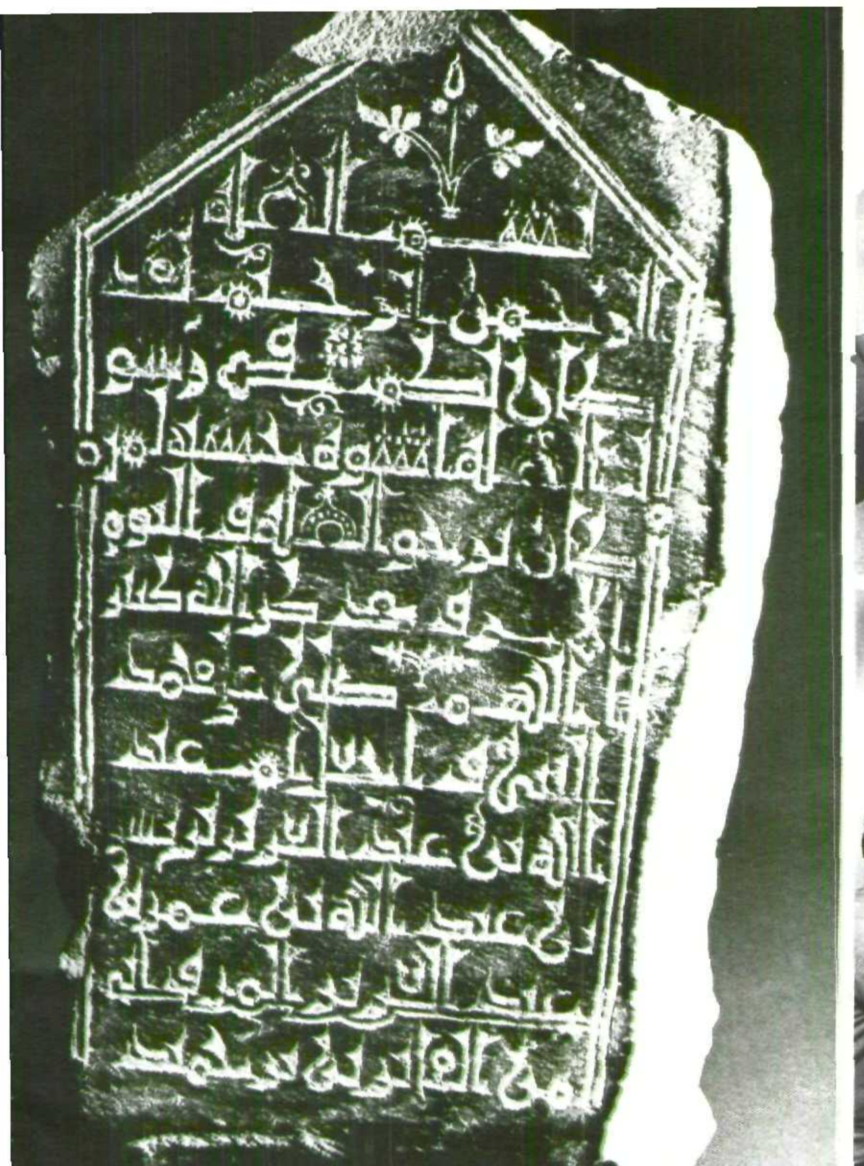
قطعة أخرى من الحجر الصابوني المنقوش برسوم بسيطة



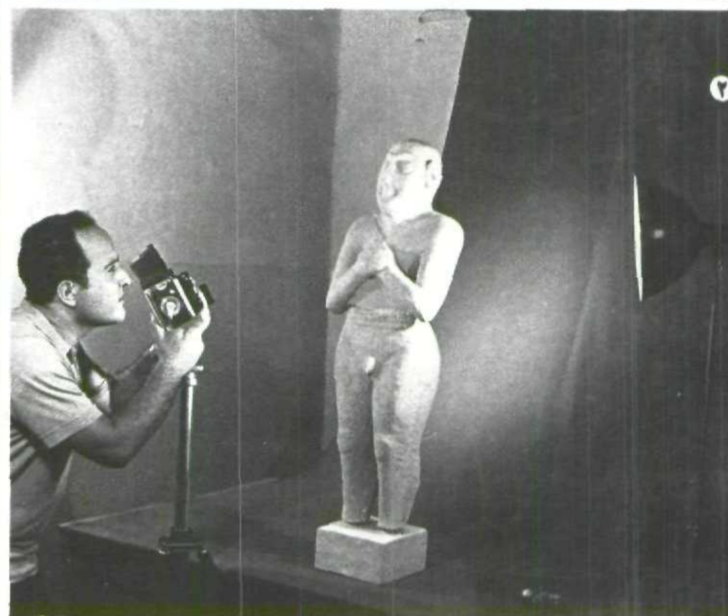
الماسح الأثري منهمك في اعداد مخطط مفصل لأحد المواقع الأثرية .



بقايا آنية من الحجر الصابوني له زخارف متناسقة بديعة .





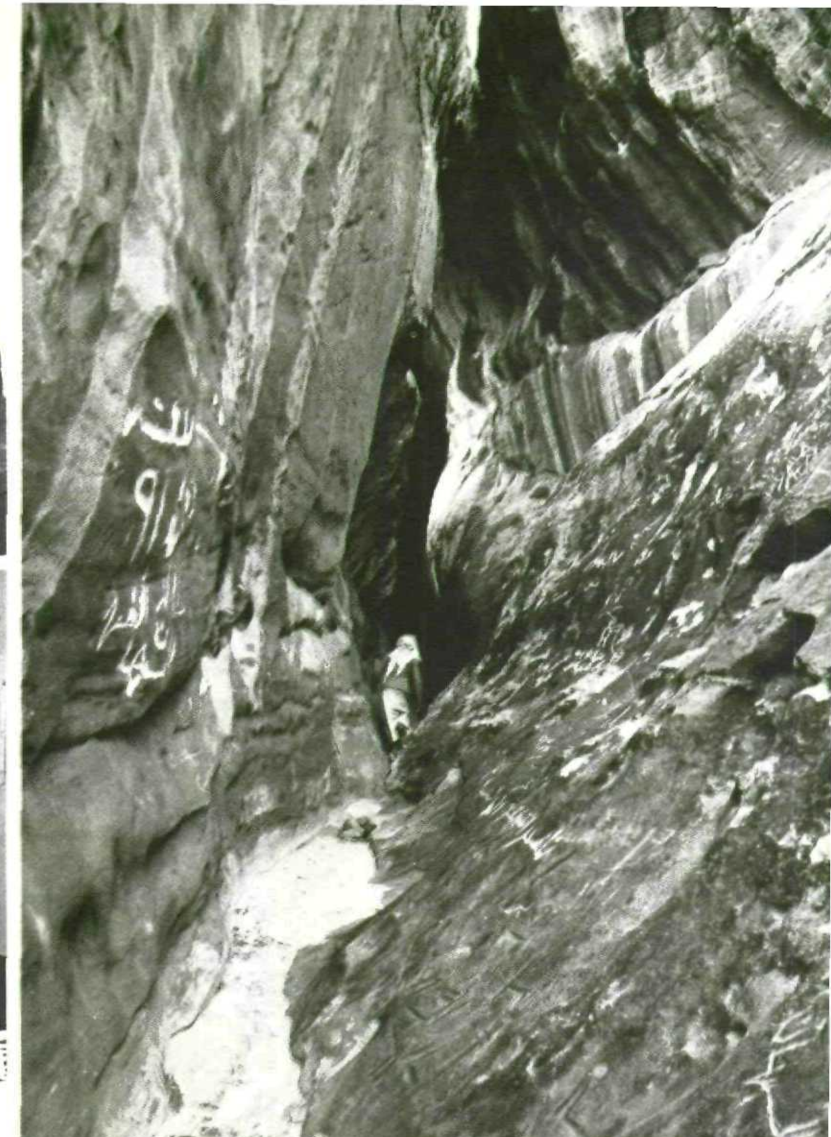


١ – الدكتور عبد الله مصري ، مدير ادارة الآثار يتحدث الى مندوب القافلة .

٢ – المصور في ادارة الآثار يصور تمثالا سومريا عثر عليه في جزيرة تاروت .

شاهد قبر وجد في مكة المكرمة ويعود الى القرن الخامس الهجري منقوش بالخط الكوفي ويقرأ كما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم . كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ..الخ» .

« قلب الجزيرة العربية – Heart of Arabia» «وبنات شيبا – Sheba's Duaghters » « والنجاد العربية – Arabian Highland » و« أرض مدين – The Land of Midian » . وبعد أن أنشئت ادارة الآثار قامت بالتعاون مع البعثات الأثرية الأمريكية والدانيماركية والانجليزية باجراء مسح أثري لبعض المناطق . فاتجهت البعثة الأمريكية عام ١٩٦٢م برئاسة الدكتور «وليام ريد - W.L. Reed» وزميله الدكتور «فريد وينت – F. V. Winnett» الى المنطقة الشمالية وقد رافقهما « الدكتور فيدال – F. S. Vidal» من أرامكو ، وقامت البعثة بتغطية مساحة واسعة شملت طريف وسكاكا والجوف ومدائن صالح وتيماء وتبوك . وفي عام ١٩٦٧ قامت البعثة ذاتها باجراء أبحاث ودراسات ومسح أثري في منطقة حائل وما حولها فشملت الأماكن الأثرية في كل من حائل وفيد وسميرة والسبعان والماوية ، وسجلت ما عليها من كتابات قديمة ظهرت في كتاب قيم مدعم بالصور الفوتوغرافية اسمه « سجلات قديمة من شمال الجزيرة العربية – Ancient Records from North Arabia » أما البعثة الدانيماركية برئاسة « جيوفري بيبي » فقد باشرت عمليات المسح الأثري في المنطقة الشرقية عام ١٩٦٧ ، واكتشفت أكثر من عشرين موقعا أثريا تحتوي على أدوات حجرية دلت على وجود حضارات متعددة نشأت في تلك المنطقة . ففي « الحناة » على مقربة من مدينة « ثاج » الأثرية عثرت البعثة على فأسين يدويتين من الصوان يعود تاريخهما الى عصر الاشوليان ، وهما من أقدم ما عثر عليه في الجزيرة حتى الآن . وفي « جبل المخروق » في الجنوب الغربي من واحة يبرين عثرت البعثة على مضارب صوانية وأدوات حجرية سوداء ذات أطراف حادة تعود الى دور الميترولتيك ، كما عثرت على سهام وشفرات صغيرة مشرشرة الجوانب رقيقة متعددة الألوان في موقع « الدوسرية » ترجع الى العصر الذهبي من العصر الحجري المتأخر . وفي جزيرة تاروت أثبتت البعثة أنها تحتوي على أقدم حضارة منذ دور النيولثيك أي قبل ٣٠٠٠ سنة ق.م.، وان قلعة تاروت تشتمل على ثلاث طبقات معمارية تدل على طبقات حضارية مختلفة . وفي « واحة يبرين » وجدت قبور كثيرة يتألف الواحد منها من حجرة مربعة ، وعثر في هذه القبور على رؤوس لدبابيس من البرونز وحربة تعود الى عصر البرونز المتأخر وبداية الدور الحديدي الأول سنة ١٢٠٠ ق.م .



« غار جانين » في منطقة حائل وتزخر جدرانه بالرسوم والكتابات .

١ — لوحة تذكارية من الحجر الجيري تحمل ثلاثة اسطر بالخط النسخي ، اقيمت بمناسبة بناء مسجد بالقطيف سنة ١٠٣٩هـ .

٢ — جرة فخارية مهشمة يعالجها المرمم بأناة وصبر ليعيد اليها شكلها الأصلي.

ومن المكتشفات المهمة في المنطقة الشرقية « قاعة الضريح في جاوان » على مقربة من مدينة القطيف . وتضم قاعة الضريح في جاوان أربعة توابيت مصنوعة من خشب النخيل من بينها تابوت لفتاة تبلغ من العمر ست سنوات تقريباً ، وقد دفن أصحاب التوابيت مع امتعتهم ومن بينها حلقات ذهبية لتزيين الشعر ، وسيفان من الحديد ، وتمثالان أحدهما لامرأة بلباسها الكامل مدهون باللون الأحمر ومصنوع من الجبس ويشبه الأنواع التي وجدت في فلسطين ومصر والثاني مصنوع من المرمر ومدهون باللون الأزرق ولكنه مهشم وهو من النوع المعروف بـ « فينوس » الهة الحب عند الاغريق ، وطاس ومرآة من البرونز ، وتمثال صغير من العاج وبعض الأدوات الأخرى . ويعود تاريخ ضريح جاوان ، بعد ان اجري عليه فحص بالكربون ١٤ ، الى ما بين ٦٠ ق . م . و ١٢٤ بعد الميلاد .

هذا وقام الباحث جيمس ماندفيل — Jqmes P. Mqndaville » من أرامكو عام ١٩٦٢ بزيارة « ثاج » الأثرية وقدم عنها دراسة تحليلية اتسمت بالعمق والدقة تحت اسم : « A Pre-Islamic Site in Northeastern Arabia »

أما البعثة الأثرية البريطانية برئاسة « بيتر بار » من معهد الآثار بجامعة لندن فقد أجرت عام ١٩٦٨ مسحا أثريا للمنطقة الشمالية الغربية ، وعثرت على بعض المخلفات الأثرية والنقوش التي أثبتت اتصال شمال غرب الجزيرة بحضارات فلسطين وسوريا وما بين النهرين . ففي تيماء عثرت البعثة على نقوش وكتابات تشير الى اهتمام ملوك بابل ببلاد العرب. ففي عام ٥٥٠ ق.م . جاء « نابونيد » ملك بابل الكلداني الى منطقة شمال غرب الجزيرة ، وأخضع واحة تيماء التي كانت تسيطر على طريق القوافل بين الشمال والجنوب . وطاب للملك المذكور المقام بها فشيد لنفسه قصرا شبيها بقصره في بابل كما بنى بها المعابد المختلفة. وامتدت أعمال البعثة فشملت « مدائن صالح » التي تفوق مدينة « البتراء » من حيث الاتساع والفخامة في نحت الصخور والفن المعماري وتعتبر من المعالم السياحية البارزة في المملكة . ومن المواقع التي زارتها البعثة « الروافة » التي تبعد نحو ١٣٠ كيلومترا الى الشمال من مدينة تبوك ، وفيها معبد نبطي على الطراز المعماري الكلاسيكي . وفي « وادي شقرى » عثرت البعثة على مجموعة من المباني الحجرية وبعض القطع الفخارية التي يعود تاريخها الى القرنين الأول والثاني بعد الميلاد . وفي « القرية » ،

التي يوجد فيها قلعة وسور وسدود قديمة ، عثرت البعثة على قطع من الفخار المتعدد الألوان والزخارف ، ترجع الى العصر البرونزي المتأخر . وفي « البَدْع » التي تقع على بعد ٢٨٠ كيلومترا من تبوك توجد مدائن نبطية ورومانية ، وتعتبر أيضا من المواقع الاسلامية المهمة . وعثرت البعثة في « شروان » على كتابات ثمودية ومعينية ونبطية قامت بتسجيلها ودراستها . وفي « منار بني عطية » على بعد ٨ كيلومترات شمال تيماء عثرت البعثة على كِسَر فخارية وكتابات ثمودية يرجع تاريخها الى ٤٠٠ سنة ق.م . وفي « نقع بني مر » في منتصف الطريق بين تبوك والبدع عثرت البعثة على مبان دائرية الشكل ، يرجح أنها مقابر تعود الى الدور الروماني . وفي « مقنا » على ساحل البحر الأحمر قلعة عثر فيها على فخار متنوع الأشكال منه النبطي والروماني والاسلامي .

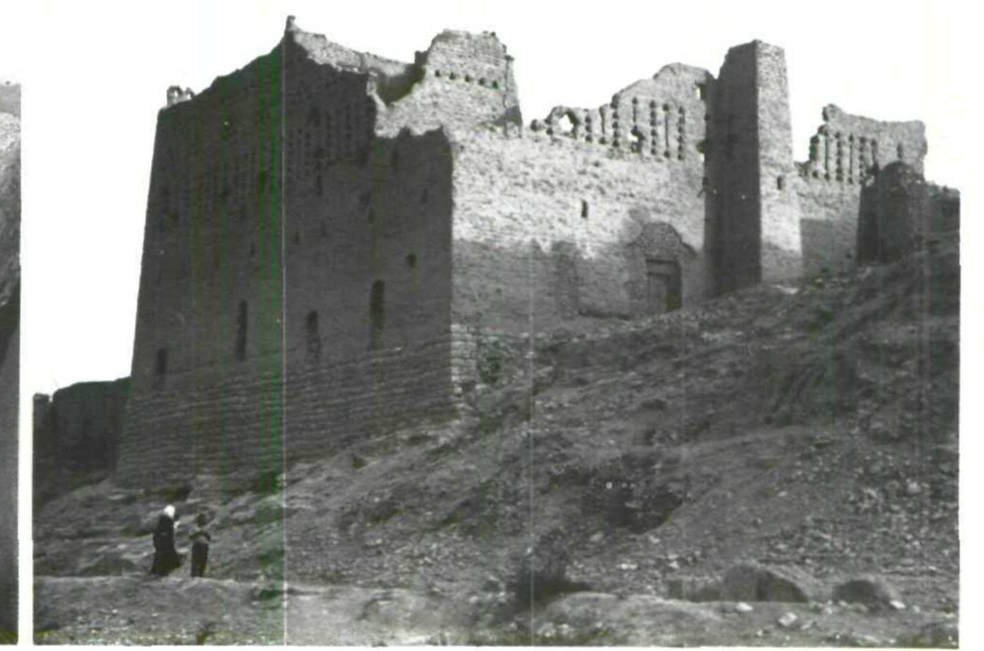
هذا وقد قامت في عام ١٩٦٨ بعثة أمريكية تابعة لمعهد « سميثسونيان » بواشنطن برئاسة الدكتور « جيمس فان بيك » وزوجته بالمسح الأثري للمنطقة الجنوبية ووادي نجران . ومن بين المواقع الأثرية التي شملها المسح الأثري « جبل حمومة » ويقع على مسافة ١٥ كيلومترا جنوب مدينة خميس مشيط ، وعثر فيه على بقايا جدران ورسوم آدمية ونقوش حجرية وقطع من الفخار . أما في نجران فكان أبرز ما مسحته البعثة « مدينة الأخدود » الأثرية بمبانيها وأسوارها ورسومها .

كما أن الأستاذة « روث استهيل » قامت بدراسة الكتابات في مدائن صالح والعذيب وتيماء ومعبد الروافة .

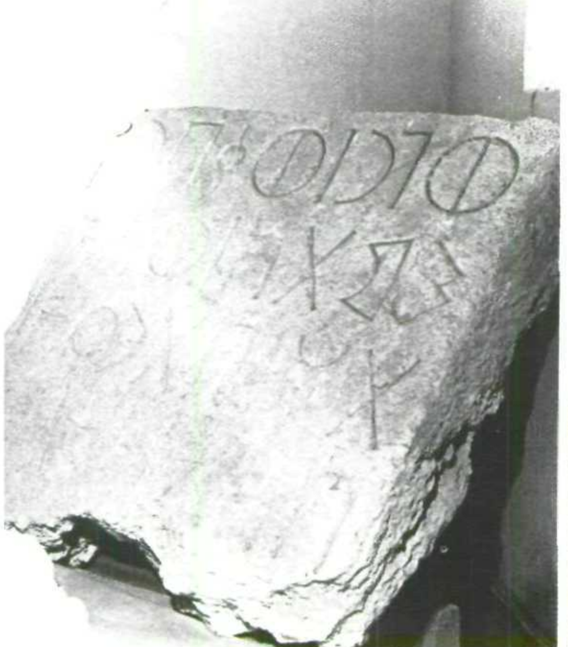
ومن أهم الأبحاث الميدانية الحديثة في مجال الكشف الأثري في المملكة ما قام به الدكتور عبد الله حسن مصري ، مدير ادارة الآثار . فقد قام عام ١٩٧٢ باعداد رسالة الدكتوراة عندما كان طالبا في جامعة « شيكاغو » الأمريكية ، اذ تناول بالبحث آثار ما قبل التاريخ في المنطقة الشرقية وخاصة السواحل الشمالية الشرقية المتاخمة للخليج العربي . وتتضمن الرسالة التي ستصدر قريبا عددا كبيرا من الخرائط الجغرافية التوضيحية واللوحات الفوتوغرافية والرسوم البيانية . وكان من أبرز نتائج ذلك البحث الميداني هو اكتشاف « عصر العُبَيد » في هذه المنطقة ، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على اتصال هذه المنطقة بالحضارة السومرية في ما بين النهرين . وتعتبر الحضارة السومرية بمقاييس التطور البشري أرقى الحضارات المعروفة . وعصر العُبَيد يرجع الى نحو ستة آلاف سنة قبل الميلاد ، وسمي بذلك نسبة الى الموقع الذي اكتشفت فيه بقايا ذلك العصر من قطع فخارية ذات مميزات خاصة وهو تل العُبَيد الذي يقع جنوب غرب مدينة الناصرية الحالية بالعراق .

وقد كان لاكتشاف البقايا الفخارية في أماكن كثيرة على ساحل الخليج العربي والشبيهة بتلك المعروفة عن عصر العُبَيد ، الأثر الكبير في تغيير مفاهيمنا عن تاريخ الجزيرة العربية ، اذ بات من المؤكد أن شرق الجزيرة قد لعب دورا حيويا في تطوراتما قبل التاريخ بمنطقة الشرق الأوسط . وأثبت البحث أن الجزيرة لم تكن بمنأى عن الانطلاقات الحضارية في الشرق القديم كما يزعم بعض المؤرخين والباحثين . ويضيف الدكتور عبد الله مصري قائلا : لا شك أن شرق الجزيرة العربية ساهم بدور فعال في نمو تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الانسان ، ألا وهي فترة السومريين ، وشارك في أوجه النشاط العمراني والفني والفكري والثقافي والاجتماعي . ونحن لا نزال في بداية الطريق للاحاطة بأبعاد هذا الاكتشاف ، ويحتاج الأمر الى اجراء حفريات للوقوف على مقومات ذلك العصر .

ومن بين الأبحاث الميدانية الجادة ما قامت به جمعية الآثار في جامعة الرياض بالتعاون مع ادارة الآثار ، حيث تم الكشف عن « قرية الفاو » الأثرية الواقعة على مشارف الربع الخالي ، وتعتبر من أهم مناطق الحضارة في وسط الجزيرة العربية . وقد عثرت بعثة جامعة الرياض في قرية الفاو على قطع فخارية وخزفية وأوان من الحجر الشمعي (المرمر) ، وقطع حجرية تحتوي على نصوص وكتابات بالخط المسند ، بالاضافة الى أشياء دقيقة كالخرز والأساور الزجاجية وأدوات الحياكة وبعض المسكوكات



أحد القصور الأثرية في مدينة الدرعية التي ستمتد اليها يد التطوير .



شاهد قبر اكتشف في ثاج يعود الى القرن الثالث ق.م. عليه كتابة اغريقية

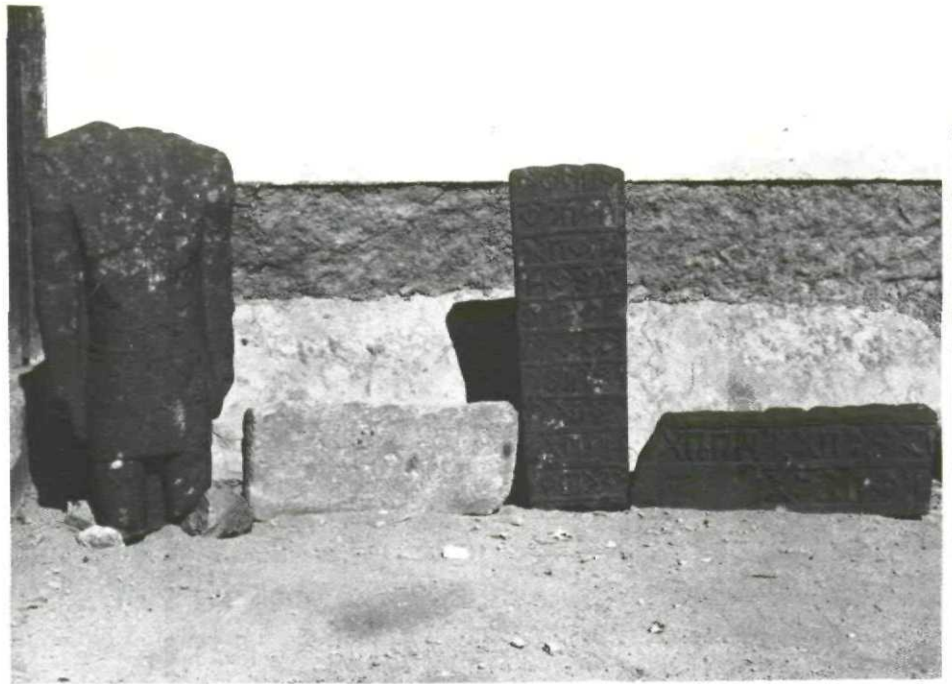


جرة من الفخار المزجج ، فيروزية اللون ، وجدت في المنطقة الشرقية ، ويعود تاريخها الى القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي .





درهم فضي متآكل من العصر الأموي عثر عليه أيضا في المنجارة بجيزان كتب على وجهه وفي وسطه : ضرب هذا الدرهم بالري سنة تسعين . **لا اله الا الله وحده لا شريك له** . وكتب على ظهره : **الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .**



كتابات لحيانية منقوشة على الحجرين الأول والثاني من اليمين ، أما التمثال المتهشمة أطرافه فقد عثر عليه في أنقاض « الخريبة » على مقربة من مدينة العلا .



رئيس القسم الفني الأستاذ ياسر أحمد طباع ، يعمل مع الباحث الأثري في الكشف عن معالم مدينة اليمامة التاريخية .

الفضية والنحاسية . ويرجع تاريخ هذه القطع الأثرية والمباني التي تم الكشف عنها الى فترة تمتد من حوالي القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الثاني بعد الميلاد .

تطوير مدينة الدّرعيّة الأثريّة

تتمتع مدينة الدرعية(١) ، التي تقع على بعد نحو ١٢ كيلومترا الى الشمال الغربي من العاصمة الرياض ، بشهرة تاريخية واسعة بوصفها مركز الانطلاقة الحديثة للمملكة العربية السعودية . ففيها من الأطلال ، والآثار ما يقف شاهدا على ما بلغته هذه المدينة التاريخية من رفعة وازدهار . فلا غرو والحالة هذه أن تحظى آثار الدرعية بعناية القائمين على حماية الآثار وصيانتها . وقد توج جلالة الملك فيصل تلك العناية بخطابه الكريم رقم ١٣٢٠٩/٣/ر بتاريخ ٤ جمادي الثانية ١٣٩٣ ، حينما وافق على مشروع ترميم وتطوير مدينة الدرعية الأثرية بما يتلاءم ومكانتها التاريخية . وباشرت لجنة مختصة من الخبراء دراسة المشروع من جميع جوانبه بتوجيهات وكيل وزارة المعارف ونائب رئيس المجلس الأعلى للآثار سمو الأمير خالد بن فهد بن خالد . ويلقى هذا المشروع الضخم اهتماما خاصا من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ، وسعادة الشيخ عبد العزيز الثنيان أمين مدينة الرياض . وبعد اتمام الدراسات المبدئية للمشروع ستباشر ادارة الآثار بتنفيذه على مراحل معينة . ويضم المشروع ترميم القصور الأثرية في « حي الطريف » ثم انشاء مركز ثقافي يراعى في بنائه الطابع المعماري القديم بحيث ينسجم مع مباني الدرعية القديمة . وسيشتمل هـذا المركز على مبنى خاص بموظفي هيئة الآثار القـائمين على العمل في المنطقة في مجالات البحث الأثري والترميمي والصيانـة الدائمة للآثـار، وصالـة محاضرات ومكتبة عامة ، وصالة عرض ضوئي، ومتحف محلي . الى جانب ذلك سيقام فندق سياحي ومطعم صغير . ولعل أبرز المراحل في العمل الضخم هو تنفيذ مشروع الصوت والضوء في آثار الدرعية ، ويعتبر هذا أول مشروع من نوعه في المملكة العربية السعودية . وسيتم تحديد مكان خاص يجلس فيه المشاهدون ليستمعوا الى تاريخ المنطقة من خلال عرض فني متكامل بالاستعانة بالموسيقى والاضاءة الجمالية المتحركة.

ولا شك في أن هذا المشروع الحيوي سيبعث الحياة في مدينة الدرعية ويعمل على انعاشها .

إحياء وترميم درب زبيدة

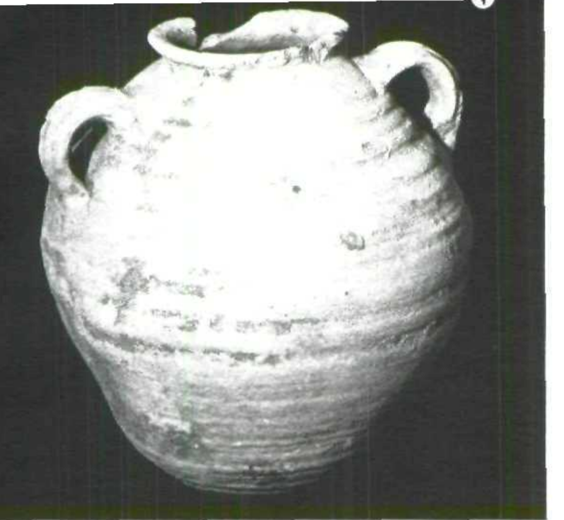
يمثل درب زبيدة الممتد من الكوفة الى مكة المكرمة طرازا فريدا من نوعه من الناحية الأثرية والمعمارية علاوة على قيمته التاريخية . وقد وضعت ادارة الآثار ضمن خطتها للسنوات القادمة مشروع ترميم واحياء درب زبيدة .

وتوجد على طول هذا الدرب الذي يبلغ مجموع أطواله ٢٠٠٠ كيلومتر حوالي ثلاثين بركة . ويتألف مشروع احياء درب زبيدة من شقين أحدهما أثري ، والآخر ترميم معماري وانشائي . وسوف يبدأ العمل في الشقين في آن . ويتناول الشق الأول من المشروع تنظيف البرك من الرمال التي طمرتها ثم يشرع في تنفيذ الشق الثاني بالقيام بأعمال ترميم مباني البرك ذاتها . ولما كانت البرك واقعة على مسافات متباعدة فستقام استراحات مؤقتة لايواء الموظفين والفنيين والعمال القائمين على تنفيذ المشروع .

إنشاء متحف وطني مركزي بالرياض

حفاظا على ماضي المملكة العربية السعودية لصالح الأجيال الحاضرة والمستقبلة ، وصونا للقيم الاسلامية الرفيعة ، فان وزارة المعارف بادرت الى وضع مشروع ضخم لانشاء متحف وطني للمملكة . وعهدت الى « مؤسسة مايكل رايس » الاستشارية بدراسة المشروع وتحديد الخطوات التمهيدية لتنفيذه . وقدمت الهيئة الاستشارية في مطلع هذا العام لوزارة المعارف تقريرا وافيا عن هذا المشروع . وبموجب هذا المشروع سيتم اختيار مساحة كبيرة من الأرض في موقع متوسط من مدينة الرياض تستوعب مجمع مباني المتحف . أما الاطار العام الذي سيغلب على تصميم مجمع المتحف فسيكون مستوحى من فكرة اعتبار انبثاق نور الاسلام في الجزيرة العربية المحور الرئيسي الذي ستدور حوله محاولة ترجمة العناصر التاريخية والأثرية التي شهدتها المنطقة قبل وابان وبعد ذلك الحدث العظيم .

ونشرا للوعي الأثري بين أبناء المملكة في مختلف المناطق ، وابرازا لدور كل منها في تاريخ الجزيرة العربية عامة وتاريخ المملكة بصفة خاصة ، وتوضيحا لطابع كل منطقة ، وتنشيطا للسياحة فقد تقرر انشاء متاحف





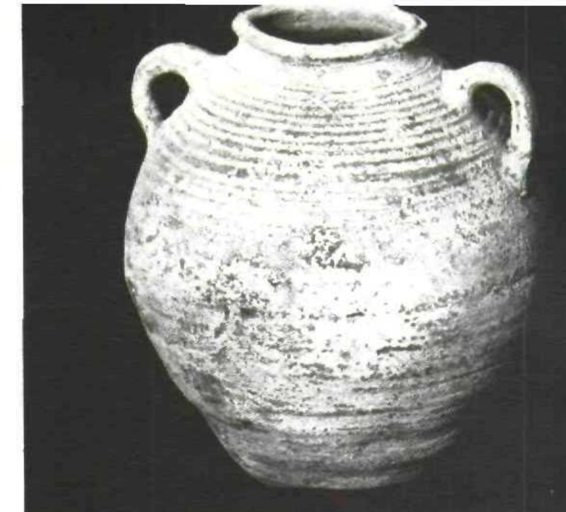
١ –جرتان من الفخار غير المزجج خاليتان من الزخرفة الا من حزوز دائرية الشكل وقد وجدتا في منطقة العلا .

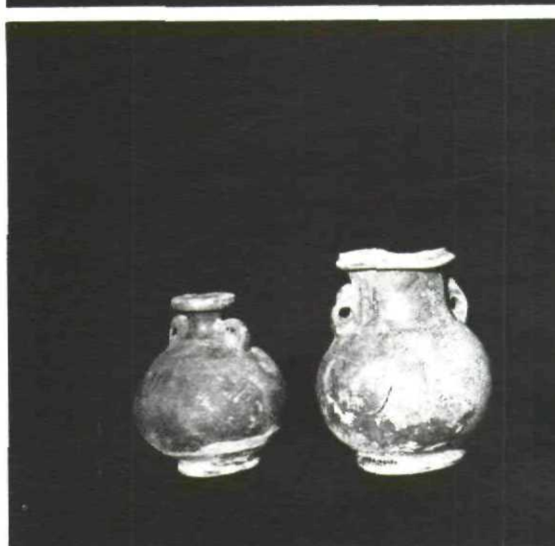
اسلامية تضم مواد التراث في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وانشاء متاحف اقليمية في كل من الدمام وجدة وحائل وعسير ، واقامة متاحف محلية في مدائن صالح ومنطقة الأخدود بنجران .

مع بعثة إدارة الآثار الى أطلال اليمامة

اليمامة من أقاليم الجزيرة العربية المعروفة قديما باسم « جَوّ » وهي مشهورة بمائها ونخيلها وزروعها ، لذا كانت موئل أقوام كثيرة منذ أقدم الأزمنة ، منها قبيلتا طسم وجديس البائدتان. وعلى أرضها تعاقبت أحداث وأحداث ، نسج الرواة حولها أمتع القصص . واليها تنسب زرقاء اليمامة التي رأت عن بعد بعينيها الثاقبتين جحافل « حسان تبع الحميري » الزاحفة للقضاء على طسم وجديس فأنذرت قومها ولكنهم لم يأبهوا لها ، فنزل بهم الخراب والدمار ، وقبض تبع على « يمامة » وسمل

١ – راجع مقال « الدرعية .. قلعة الامجاد » في عدد صفر ١٣٩٢ من قافلة الزيت .





٢ – أربع مزهريات مزججة ذات رقاب ضيقة ومقابض جانبية عثر عليها في تاروت وتعود الى القرن الخامس قبل الميلاد .

عينيها وأمر بصلبها على باب « جو » وان تسمى المنطقة باسمها .

وروي على لسان تبع قوله :

وسميتُ جـوا باليمامـة بعـدما
تركت عيونـا باليمـامة همـلا
نزعت بهـا عيني فتـاة بصـيرة
رغامـا ولم أحفـل بذلك محفلا
تركت جديسا كالحصيـد مطرحـا
وسقت نساء القوم سوقـا معجـلا
أدنت جديسا ديـن طسم بفعلهـا
ولم اك لـولا فعلهـا ذاك أفعـلا
وقلت : خذيها يا جديس باختهـا
وأنت لعمري كنـت للظلم أولا
فلا تُدعَ جـو ما بقيتُ باسمهـا
ولكنهـا تدعى اليمامـة مقبـلا

ولما بزغ نور الاسلام ، أعلنت اليمامة اسلامها بعد عودة « ثمامة بن اثال » سيد بني حنيفة من مكة المكرمة مسلما على يدي النبي صلى الله عليه وسلم . ولما توفي النبي ، صلى الله عليه وسلم ، انقاد أهل اليمامة لمسيلمة الكذاب وارتدوا عن الاسلام ، فأنفذ اليهم الخليفة أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، خالداً بن الوليد ، سيف الله المسلول ، فأعادهم الى حظيرة الاسلام .

هذه المنطقة العريقة هي محط أنظار كثير من الباحثين الأثريين ، ولذا فانها تحظى من ادارة الآثار بعناية كبـيرة . وخلال وجود مندوب القافلة في الرياض قامت ادارة الآثار بايفاد بعثة أثرية الى اليمامة قوامها رئيس القسم الفني ، والباحث الأثري وأمين المتحف والمساح ، والمصور ، وتم تجهيزها بالمعدات والأدوات الحديثة . ورافقنا البعثة الى موقع أثري يقال له « البُنَّة » على بعد نحو عشرين كيلومترا الى الجنوب الشرقي من مدينة الخرج الجميلة . والموقع عبارة عن تل يشرف على بساتين النخيل ، وتكثر في جنباته القطع الفخارية ، وتبدو فيه معالم الأبنية القديمة واضحة . وهنا أخذت البعثة تذرع المكان مشيا على الأقدام بغية التعرف عليه وتقرير حدوده . وقد شرح لنا الأستاذ عوض عمر شملان ، أمين المتحف ، الخطوات الأساسية المتبعة في مثل هذا العمل بقوله : قبل اجراء أية عملية أثرية نعمد أولا الى التعرف على الموقع وتحديد أبعاده ، وذلك من خلال ما نعثر عليه من بقايا المباني أو المواد الأثرية على سطح الأرض كالفخار وما شابه ذلك . وبعدها يبدأ المساح باعداد مخطط للموقع باستخـدام « التيودوليت » وعمل مسح كنتوري عليه يبين نقاط الارتفاع والانخفاض . ثم يقوم المصور بالتقاط صور لأماكن محددة ذات أهمية خاصة في التنقيب الأثري . ويعقب ذلك اجراء عملية جس للموقع عن طريق اجراء حفر بسيط في أماكن متفرقة للاستدلال عليه تمهيداً لعمليات حفر واسعة منظمة فيما بعد . هذا ويقوم أفراد البعثة بجمع بعض القطع الفخارية وغيرها ووضعها في أكياس خاصة لدراستها وتحليلها في المختبر .

وبعد أن فرغت البعثة من عملها التنقيبي الأولي وحزمت معداتها وأدواتها وخرائطهـا استعداداً للعودة قال الأستاذ عوض شملان : يستدل من ظاهر الموقع على أنه اسلامي من واقع بقايا المسجد والفخار الذي يحمل الطابع الاسلامي .

تدريب الوطنيين في حقول الآثار

لما كان العمل بحقل الآثار ذا طبيعة خاصة تحتاج الى متخصصين على درجة عالية من الكفاءة العلمية والفنية ، لذا وضعت ادارة الآثار في اعتبارها للخطة الخمسية القادمة برنامجا لتدريب العاملين في الأقسام المختلفة على أحدث الأساليب العلمية في مجالات ادارة المتاحف ، والتنقيب والبحث الأثـري والترميم والصيانة الأثرية ، والتحليل الأثري العلمي ، وعلم المسكوكات واللغات القديمة . وستباشر الادارة مع مطلع العام المالي ٩٥/٩٤ ابتعاث أول دفعة تتألف من خمسة عشر طالبا جامعيا من خريجي أقسام التاريخ والجغرافيا والعلوم . ومن ثم سيجري ابتعاث أعداد أخرى حسب جدول زمني ثابت يتم اعداده على ضوء النتائج الأولية للدفعة الأولى .

تطلّعات نحو المستقبل

ان المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتق ادارة الآثار وما تتطلبه هذه المسؤولية من قدرات علمية وفنية ، تملي عليها التوسع في جهازها الفني والاداري لتنهض بأعبائها على خير وجه . وأول ما تفكر فيه الادارة هو استحداث أقسام جديدة كادارة المتاحف ، واللغات القديمة ، والمسكوكات ، والمخطوطات ، ثم تدعيمها بالقوى البشرية المدربة . ولما كان للآثار دور فعال في تنمية الثقافة الوطنية وتوسعة آفاق الفهم التاريخي والانساني ، فان الادارة تولي الاعلام الأثري أهمية كبيرة ، وتعتبر التغطية الاعلامية عن الآثار من أهدافها الرئيسية . وفي هذا المجال يتجه التخطيط نحو طبع واصدار الكتيبات المصورة والملصقـات والبطاقـات التوضيحية عن أبرز مناطق ومعالم الآثار في المملكة . وتنوي الادارة في المستقبل القريب اصدار مجلة دورية منتظمة تهتم بتغطية البحوث العلمية في مجال الآثار . وينظر الدكتور عبد الله حسن مصري بتفاؤل كبير نحو مستقبل مشرق لادارة الآثار اذ يقول : ان اهتمام الدولة ، وعلى رأسها جلالة الفيصل ، بجهاز الآثار قمين بأن يبلغ بالادارة الى مستوى رفيع ينسجم مع المكانة المرموقة التي تتمتع بها المملكة العربية السعودية بين دول العالم ■

سليمان نصرالله – هيئة التحرير

الفراغ

وأثره في الحياة الاجتماعية

«١»

بقلم: الدكتور حسن علي خفاجي

الفـراغ والتفكير الإنساني

المفهوم الذي نقصده للفراغ في هذا الصدد هو الفراغ الزمني او بمعنى اخر اوقات الفراغ . ولعل من الأهمية بمكان الوقوف في بدء هذا الحديث على كيفية ظهور الفراغ في الحياة الاجتماعية . او بمعنى ادق معرفة تاريخ الفراغ لأن معرفة تاريخ أي موضوع تساعد في ايضاحه وبالتالي تساعد على فهمه .

لو تأملنا حياة الانسان قبل الاستقرار نلاحظ ان حياته كانت قائمة على الترحال والانتقال من مكان الى مكان لأن طبيعة هذه الحياة تقوم وتعتمد على الرعي الذي يتطلب وجود العشب والماء ولهذا كلما قل او انعدم العشب ونضب الماء رحل الانسان الى مكان آخر تتوفر فيه هذه المتطلبات . على انه تجدر الاشارة الى ان الانسان الراعي كان أسلوب حياته اليومية الطواف مع مواشيه حول العشب والماء، واذا كل من التجوال فانه يستريح قليلاً ليستأنف مسيرته هذه في الانتقال، واذا ما حل الليل قضى ليله في نوم عميق ليرتاح من عناء تعب النهار ، وهكذا استمرت حياته . . ثم كان بعد ذلك ان طرأ تغير اجتماعي على حياة الانسان وضع حداً لذلك الرحيل المستمر والانتقال المتوالي ، وذلك عندما استأنس الانسان الزراعة التي تعتبر اول اختراع جوهري في تاريخ الانسانية .

لقد وضعت الزراعة حداً لرحيل الانسان وانتقاله المستمر عندما استقر في وادي النيل بمصر القديمة . وقد اتاح له ذلك الاستقرار الفرصة لتنظيم حياته الاجتماعية فبدأ يعمل في اوقات أخرى اثناء النهار ، ومن هنا بدأ الانسان يحس بشيء جديد في حياته. فقد وجد لديه الفراغ بعض الوقت للتفكير في أموره وفيما يدور حوله فاستغل هذا التفكير وانشأ الحضارات الأولى في الوديان الخصبة التي انبعث منها بعض مظاهر التقدم الانساني . ونتيجة لذلك لم يقتصر سكان وادي النيل القدامى على ممارسة الزراعة بل زاولوا التجارة وفنون الصناعة ، كما ساعدهم ذلك الفراغ على ايجاد بعض الأفكار الاقتصادية والاخلاقية والسياسية . وباختصار يمكن القول ان بعض علماء الاجتماع يرون ان اول صور التفكير الاجتماعي قد ظهرت في مصر القديمة وما ذلك الا بفضل وجود «الفراغ» الذي استغله الانسان في التفكير فأتى في هذا الصدد بما لم يأت به الأوائل . وهكذا نلاحظ بوضوح ارتباط مظاهر التفكير الانساني بالفراغ .

الفراغ كأداة بناء ومعول هدم في المجتمع

اعتاد بعض الدارسين ان يربطوا بين الفراغ والمشكلات الاجتماعية وكأنهم بذلك – يذهبون الى ان للفراغ اثره السيء فقط في الحياة الاجتماعية فما مدى صحة ذلك ؟

الواقع انه يمكن القول ان الفراغ سلاح ذو حدين فبقدر ما يحسن الانسان استغلال الفراغ بقدر ما تكون نتائجه طيبة وفعالة تساهم في البناء الاجتماعي وفي اسعاد الأفراد وبالتالي النهوض بالمجتمع . وأوضح مثال على ذلك ما ظهر في وادي النيل قديماً نتيجة لحسن استغلال الفراغ ، فقد استطاع قدماء المصريين ان يقدموا للانسانية بعض النظم الحكومية ،

كما ان قدماء المصريين اول من عرف نظام المدينة بوصفها وحدة سياسية فقد عرفوها قبل اليونان الذين اتجه تفكيرهم بصورة جلية الى نظام الدويلات .

بالاضافة الى ذلك نجد ان كثيراً من الاختراعات الحديثة كان نتيجة التفكير في اوقات فراغ احسن اصحابها استغلالها فكانت خيراً على المجتمعات الانسانية اذ استفادت منها فائدة كبيرة انعكست على كثير من جوانب الثقافة المادية واللامادية .

هذا من الناحية الايجابية اما من الناحية السلبية للفراغ في المجتمع فان كثيراً من المشكلات الاجتماعية وبصفة أخص مشكلات الجريمة والانحراف تؤثر في الحياة الاجتماعية وتجعل الشعور الفردي والشعور الجمعي يتأذيا منها . ولما كان لهذا الجانب اثره في المجتمع فقد أولى علماء الاجتماع ومنهم علماء علم الاجتماع الجنائي خاصة اهمية كبيرة لهذا الموضوع الأمر الذي يدعونا للوقوف وقفة طويلة في هذا الصدد محاولين القاء الضوء على اوقات الفراغ والانحراف .

أوقات الفراغ والانحراف

يتميز الأحداث الذين يقتربون من الحد الأقصى لسن الحدث وهي التي تحدد عادة بثمانية عشر عاماً في أغلب الدول ، بطاقة حيوية كبيرة ،وتتطلب طبيعة الأمر ان يستفيد الأحداث من هذه الطاقة باستغلالها في القيام بعمل شيء معين ، فاذا لم تحصل المبادرة بترويض هذه الطاقة وتوجيهها وجهة سليمة فاننا يجب ان نتوقع ان يكون هذا الشيء المعين هو الانحراف .

فالطفولة وخاصة الطفولة المتأخرة عهد اللعب والشباب عهد المخاطرة والأحلام فاذا لم يجد الطفل المجال الصالح للعب فيه واذا لم يجد الوسائل البريئة التي يستغل فراغه فيها واذا قلت النوادي والملاعب وندرت او انعدمت المتنزهات انصرف الأطفال في هذه السن الحرجة الى الأزقة والشوارع والأماكن غير الصالحة لاستغلال الفراغ .

وأصل الداء في الاحداث هو فقدان ما يرضي احتياجاتهم الروحية ورغباتهم الأدبية وغير ذلك من أمور ، ذلك ان اسباب التسلية والترفيه العقلية والنفسية ضرورية لهم كحاجتهم الجسمية للطعام والشراب ، فاذا لم يجدوا الأماكن الصالحة لاستغلال نشاطهم وحيويتهم فانهم لا بد سيعملون على انفاقها في أوجه ضارة الأمر الذي يؤدي بهم الى الانحراف .

والواقع ان اهمية قضاء اوقات الفراغ تبدو فيما اظهرته الدراسات الاحصائية :

ان معظم جرائم الأحداث تحدث وتزيد في المناطق التي لا توجد فيها أماكن مخصصة للهو البريء كالملاعب والحدائق والمتنزهات والنوادي او التي تنتشر بها أماكن تشجع على السهر واقتباس العادات السيئة .

ويتضح مما تقدم ان اوقات الفراغ تربة صالحة لاستنبات الجريمة اذا ما أسيء استغلالها ويرجع هذا الى انها تهيء الفرصة للاختلاط والرفقة من ناحية ، وللتعرض لاكتساب العادات المرذولة والسيئة التي يشغل بها البعض اوقات فراغهم من ناحية أخرى .

وقد أشار « جلوك » الى انه خرج من دراسته لبعض الأحداث الجانحين على أساس كيفية شغلهم اوقات فراغهم بالنسبة الآتية :

١ ٪ كانوا يشغلون اوقات فراغهم بنشاط منتج .
٦ ٪ كانوا يشغلون اوقات فراغهم بنشاط غير منتج ولكنه غير ضار .
٩٣٪ كانوا يشغلون اوقات فراغهم بأنواع من النشاط الضار .

وفي دراسة اجريت في الاسكندرية على ٢٠٠ طفل من الأحداث الذين عرضوا على محكمة احداث الاسكندرية في عام ١٩٥٧ من مختلف اقسام المدينة لمعرفة كيف يقضي الأحداث اوقات فراغهم اتضح ان :

٥٢ ٪ يقضون اوقات فراغهم في الشارع او الحارة .
٢٩ ٪ يقضون اوقات فراغهم في السينما .
٥ ٪ يقضون اوقات فراغهم في النادي او الساحات الشعبية .
٢,٥ ٪ يقضون اوقات فراغهم في المنزل .
٩ ٪ يقضون اوقات فراغهم على شاطيء البحر .
٢,٥ ٪ يقضون اوقات فراغهم في اماكن أخرى .

وكما هو ملاحظ فان هذه النسب تدل على ان اكثر من نصف الأحداث يقضون اوقات فراغهم في الشوارع وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان سوء استغلال اوقات الفراغ له تأثير في مشكلة انحراف الأحداث .

وقد نجم عن ذلك ان اهتمت المؤتمرات التي عقدت لمعالجة موضوع انحراف الأحداث بمسأله اوقات الفراغ . وتجدر الاشارة الى ان من بين توصيات هذه المؤتمرات التي انعقدت لمعالجة ومناقشة هذه المشكلة العويصة توصية بالاهتمام بالأندية والساحات الشعبية والمتنزهات وتوزيعها على الأحياء المختلفة .

الاهتمام بأوقات الفراغ في المملكة العربية السعودية

نتيجة للتطور الاجتماعي الذي طرأ على المملكة العربية السعودية لم يعد مجال الترفيه مقتصراً على الأسرة نتيجة للتغير الاجتماعي الذي طرأ على الأسرة، بل ان هذا المجال الاسري اصبح محدوداً ذلك لأن الترفيه البريء لم يعد ترفاً وانما أصبح ضرورة اجتماعية الأمر الذي اوضح مشكلة الفراغ — وخاصة بالنسبة للشبان — بدرجة جعلت اهتمام المسؤولين يزداد بمشكلة اوقات الفراغ والترفيه ومن هنا اخذت وزارتان على عاتقهما الاهتمام بهذا الموضوع .

لقد اهتمت وزارة المعارف بذلك وأنشأت ادارة لرعاية الشباب ، تهدف الى رعاية الشباب من النواحي الذهنية والاجتماعية والرياضية ، فمن الناحية الذهنية شكلت هذه الوزارة لجنة للتوعية الاسلامية هدفها اعداد جيل مؤمن مدرك لسؤولياته يمكنه بموجب هذا الغذاء الروحي وهذه التوعية الاسلامية الحفاظ على عقيدته من أي زيف او زيغ . . ومن الناحية الاجتماعية عينت المشرفين والاخصائيين الاجتماعيين لتوجيه فلذات الاكباد التوجيه السليم، ومن الناحية الرياضية زودت المدارس بالمشرفين والمدربين الرياضيين ، وأعدت الملاعب ووفرت الأدوات الرياضية. ومن ناحية أخرى فقد اهتمت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بموضوع الفراغ والترفيه فأنشأت أيضاً ادارة لرعاية الشباب ومن أهم اختصاصات هذه الادارة :

١ — وضع سياسة متكاملة ومنسقة لبرامج وخدمات الشباب واستغلال اوقات فراغهم وتوجيههم ورعايتهم .

٢ — توفير الوسائل الكفيلة باتاحة وتهيئة الوان مختلفة من النشاطات الاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية بالنسبة للشباب .

٣ — العمل على نشر وتشجيع اقامة الأندية والساحات الشعبية ذات البرامج الاجتماعية الهامة .

وعلى أثر انشاء ادارة رعاية الشباب هذه، بذل الكثير من التسهيلات وظهر العديد من اوجه النشاط بمختلف انواعه لا لتواجه مطالب اوقات الفراغ فحسب، بل وكما جاء في المذكرة التفسيرية لادارة رعاية الشباب للنهوض بالأندية وتطويرها وجعلها مؤسسات اجتماعية متكاملة يجد فيها الشباب فرصاً طيبة لاشباع هواياتهم وتنمية قدراتهم وتعويدهم على القيادة والتعاون .

وبالفعل كان لانشاء هذه النوادي اثر كبير في مجال الترفيه والقضاء الى حد كبير على مشكلة اوقات الفراغ . ولم يقتصر الاهتمام بالشباب فحسب بل امتد الاهتمام الى الشابات فقد انشىء في الرياض ناد للنساء تحت اسم « نادي فتيات الجزيرة الثقافي » الذي تأسس كما جاء في اللائحة التأسيسية للنادي ليكون ملتقى الفتيات وسيدات المجتمع السعودي ، يشيع بينهن المحبة ويقوي روابط الصداقة والرغبة الصادقة في التعاون لأعمال الخير ، وينمي فيهن الروح الاجتماعية المثلى ، وينشر بينهن الوعي الديني والثقافي ويبث الروح الرياضية الوثابة في نفوسهن ، ويوفر لهن تقضية اوقات الفراغ في هوايات بريئة مثمرة .

بالاضافة الى ذلك هناك الجمعيات النسائية العديدة في مختلف نواحي المملكة تساهم في هذا الصدد لاستغلال اوقات الفراغ بما يعود على المنتسبات الى هذه الجمعيات بالخير الوفير وخاصة من ناحية محو الأمية وتعلم الخياطة والتدبير المنزلي وما الى ذلك من امور تهم ربة البيت .

وكذلك هناك مراكز الخدمة الاجتماعية في المدن ومراكز التنمية الاجتماعية في المناطق الريفية تساهم في موضوع شغل اوقات الفراغ وخاصة المرأة باعتبار انها مجالات لمحو الأمية والتثقيف والاحاطة بكثير من الشؤون المنزلية .

وهكذا نلاحظ انتشار النوادي المختلفة، ومراكز الخدمة الاجتماعية ومراكز التنمية الاجتماعية لمواجهة مشكلة اوقات الفراغ ، بالاضافة الى تزايد الجهود التي تبذل للاهتمام بوسائل الترفيه المختلفة التي سنشير اليها فيما بعد ، وكل هذه الأمور وما اليها تؤكد النظرة الجادة الى موضوع الفراغ والترفيه خاصة وان النظرة للترفيه لم تعد على انها مضيعة للوقت بقدر ما هي ضرورة تساعد الانسان على العمل والانتاج .

الفراغ والمجال الاجتماعي

من الطبيعي ان يكون للطفل اصدقاء او رفاق في كل مجال او محيط يوجد فيه كأن يكون ذلك في محيط المدرسة حيث يلتقي بزملائه في الدراسة ، او مجال العمل حيث يختلط بمن يعمل معه من الأطفال والبالغين على السواء ، وفي جماعة اللعب حيث يقضي وقت فراغه يلعب ويلهو معهم . وفي كل هذه المجالات يكون الطفل مع أقرانه علاقات اجتماعية، فاذا كان هؤلاء الأقران اسوياء كانت العلاقات الاجتماعية سوية حسنة ، والعكس صحيح . فالطفل وخاصة الذي يكون على ابواب المراهقة يحاول دائماً ان يكون مثل اقرانه اي انه لا يريد ان يظهر بمظهر الأقل منهم لذا يحاول جاهداً ان تكون تصرفاته مشابهة لتصرفات زملائه ، فاذا كان هؤلاء يقومون بأفعال منحرفة فأنه لكي لا يظهر بمظهر المتخلف عن ركبهم يحاول المضي معهم في نفس التيار فيتشرب الكثير من عاداتهم واساليب سلوكهم المنحرف الأمر الذي قد يؤدي به أحياناً الى الهاوية . .

والواقع ان تأثير رفقاء السوء في السلوك قد ركز عليه علماء الاجتماع الجنائي ، وعلماء الاجرام ، وتعرضوا من ثم لرفاق السوء وخاصة اولئك الذين لديهم اتجاهات وميول مخالفة للقانون والخروج على ما استنه المجتمع . والحقيقة ان الطفل الطيب الذي يخضع او يستسلم لقيادة وتأثير الشخص السيء لا بد وان يكون عنده الاستعداد للانحراف . ذلك الاستعداد الذي يجعله يتأثر بانماط سلوك الرفقاء .

وقد أشار العلامة « سيرل بيرت — Cyril Burt » في كتابه « الجانح الصغير » الى ان هذه الاستعدادات التي تسهل انحراف الطفل تتمثل في ان يكون بيته كئيباً وغير جذاب او كريهاً ، او ان يكون ضعيفاً من الناحية العقلية او الجسمانية ، او ان يكون صغير السن او ضعيف الشخصية او متوعك الصحة . كل هذه الأمور وما اليها تسهل انقياد الطفل لينتهي به الأمر الى الانحراف اسوة برفاق السوء .

واذا كنا قد أشرنا الى الاستعدادات الذاتية للحدث والتي تسهم في جعله لقمة سائغة لرفقاء السوء الذين يؤثرون عليه ولا يتوانون في جعله مثلهم ، فلا بد لنا من الاشارة الى ان هناك اموراً خارجية او بيئية تؤدي بالحدث الى مثل هذه الطريق السيئة . فقد لا يجد الطفل في محيطه العائلي الحب والعطف والحنان الاسري مما يضطره للبحث عن مثل هذا العطف لدى زملائه العاديين في محيط المدرسة او العمل او اللعب ، فاذا فشل فانه يبحث عن ذلك في مجال الرفقاء الأشرار ، وهنا قد يجد ضالته المنشودة ، أعني انه يجد العطف لدى هؤلاء الرفقاء السيئين اذ انهم سوف يتخذون من هذا العطف قنطرة يسيرون عليها لتحقيق مآربهم وغاياتهم ، وكذلك الحال بالنسبة للطفل الفقير المحروم من الطعام والملابس والنقود . مثل هذا الطفل ولا شك قد يجد تعويضاً عن مثل هذا الحرمان عند رفاق السوء فهو يجد في كنفهم الطعام والنقود . ومثل هذا الطفل اذا ما توفر له ما يريد في هذا المحيط فانه يطمئن لهؤلاء الرفقاء ومن ثم لا يستطيع مقاومة اغرائهم له فينخرط معهم في طريق الغواية والانحراف .

وقد وجد العلامة « سيرل بيرت » ان هناك ١٨٪ من الحالات التي قام ببحثها كان انحراف اصحابها يتجه لاختلاطهم برفاق السوء .

كما ان العلامة « بول تابان — Paul Tappan » قد ذهب الى ان الانحرافات غالباً ما يرتكبها الاطفال عندما يكونون في جماعات من اثنين أو أكثر . وفي السن التي يكون فيها الطفل ميالاً نحو العصابة ، تكون ضغوط الجماعات ومظاهر الولاء دافعاً قوياً على السلوك ، اذ ان رغبات الطفل لتحقيق حب الظهور والمغامرة قد تلقي به في تيار الجماعات التي تفضي به الى الانحراف ، لسبب الرغبة في اتيان ما هو ممنوع ، وكذلك في اظهار السلطة والنفوذ والرغبة في ان يحوز الاعجاب ■

د. حسن خفاجي — جدة

على ضفاف النيل

للشاعر: محمود عارف

ماذا أقول وأنتِ كالبستان … فواحة كالعطر في الريحانِ؟
أو كالربيع اذا تبسم للربى … منه وفيه ذخائر الفنان
الحسن فيك، مرفّه تهفو له … بعواطف، مشبوبة النيران
ما كنت أحسب أن عقلك راجح … لولا حديث طاب .. في الآذان
أحلاه في ذكر الشباب أعاد لي … ذكرى الرضا .. ومرارة الحرمان
هيفاء أخت البدر عاشقة العلا … موهوبة بالعقل .. والوجدان
حيوية .. بطموحها قد سابقت … رغم الأنوثة .. مطمح الفتيان
تعنى بأفكار الرجال، وتحتمي … بانوثة بعدت عن الشيطان
في ناظريها يستقر حنانها … وفؤادها خلو من الأدران
لكنني أحسست في وجدانها … شيئا يلامس واقع الحيران
ولعل هذا من غموض شعورها … قد ضاع .. مثل التيه في الوديان
وشعورها متفزز وبه سمت … فوق الهوى .. بفضيلة الكتمان
اشراقة البشرى ملامح بسمة … في ثغرها .. في وجهها الضحيان
هي في مجال الحسن آية فتنةً … قد أعجزت بالوصف كل لسان

* * *

يا مصر هذا «بنتأوور» أثارنا … بخواطر بقيت على الأزمان
قد هز أوتار الشعوب بشعره … فاهتزت الدنيا مع الأركان
وأعاد للتاريخ ذكر حضارة … في مصر كانت مرتع الأذهان
فاذا «الفراعنة» الملوك هم الألى … كانوا صنائع حفنة الطغيان
قد حاولوا بوجودهم أن يصنعوا … مجدا لمصر ضريعة اليونان
والنيل في أرض «الكنانة» معلم … لحضارة فاقت على الرومان
اعجاز «شوقي» لم يزل في شعره … يعطى «لمصر» بلاغة التبيان
«صبري» و«حافظ» رائدان كلاهما … في الشوط قد بلغا مدى مطران
وبقية الأفذاذ كانوا سبقا … في رفع «مصر الى أعز مكان»

* * *

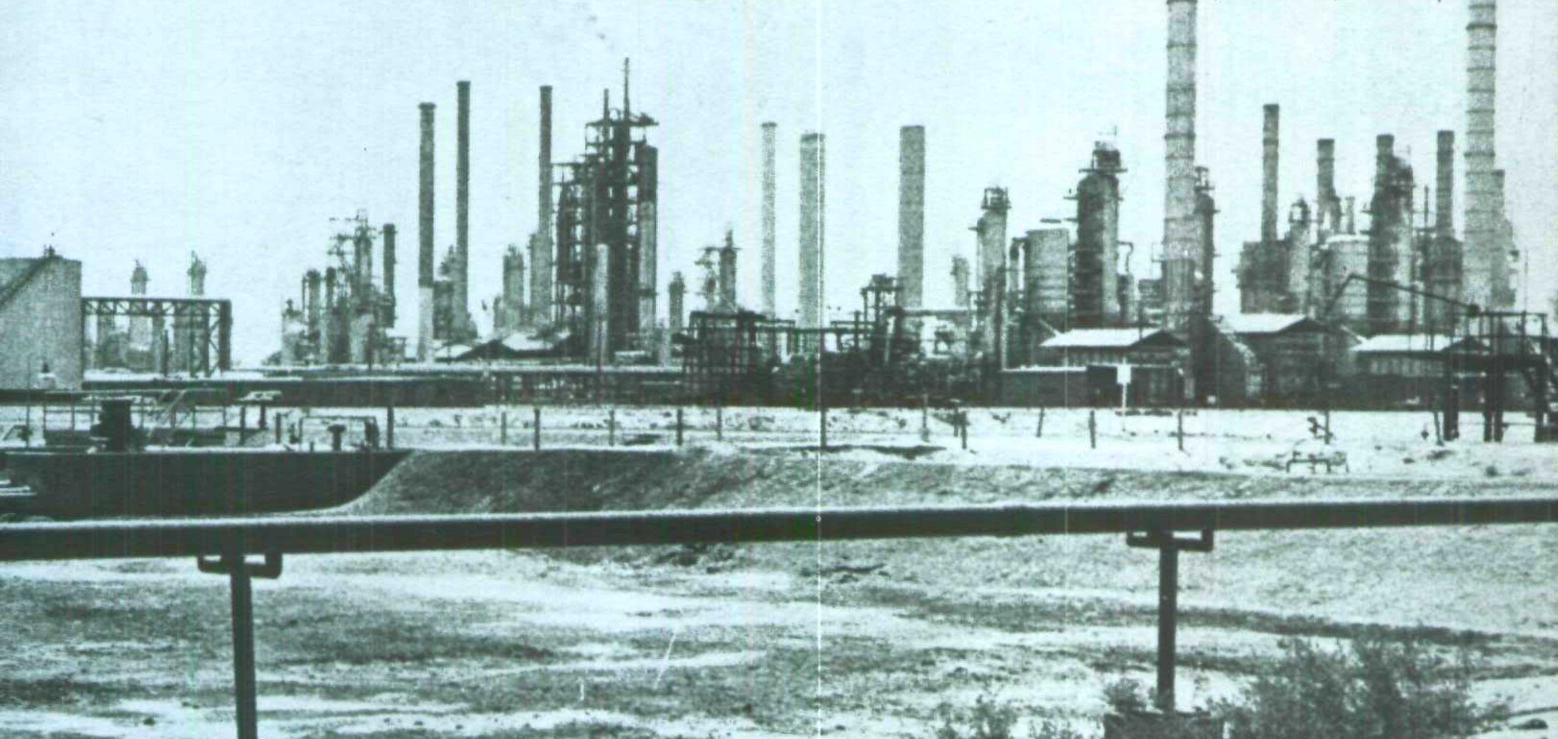
يا نيل يا نبع المحبة سلسلا … من سلسل ينساب باطمئنان
أضفى نميرك في المذاق حلاوة … أشتفها بتلهف العطشان
كل الى مجراك يسرع طالبا … لهو الهداة، ومتعة الشجعان
في شاطئيك مراتع لقلوبنا … نرتاح فيها من عناء زمان
وهنا وفي أرض «الكنانة» متحف … بل منجم للحسن، للانسان
الله قد خلق الجمال رصيعة … وهدية للناس، للأوطان

محمود عارف — جدة

مَعمَل التكرير في رأس تنورة

يُعدّ معمل التكرير في رأس تنورة من أكبر معامل تكرير الزيت في العالم اذ يزيد معدل ما يكرر فيه على نصف مليون برميل في اليوم. وقد بدأ الإنتاج في هذا المعمل عام ١٩٤٥، ومنذ ذلك الوقت والعمل مستمر على توسعة مرافقه لإنتاج مواد جديدة ولتحسين المنتجات البترولية. ويقوم هذا المعمل في منطقة رأس تنورة التي هي مركز تكرير الزيت وشحنه في شركة ارامكو والتي تبعد حوالي ٧٠ كيلومتراً الى الشمال من مقر أعمال ارامكو في الظهران وهي على شكل شبه جزيرة داخلة في مياه الخليج العربي.

ويضم معمل التكرير عشرات المرافق والوحدات والمنشآت التي تسهم في معالجة الزيت الخام وتصنيع العديد من منتجاته التي يصدر معظمها للأسواق العالمية.



التكرير

الزيت الخام مزيج من مركبات تدعى الهيدروكربونات. ويتألف معظم هذه المركبات من الهيدروجين والكربون، ولكنها لا تخلو عادة من بعض الشوائب غير المرغوب فيها كالكبريت مثلا. ويكون الزيت الخام لدى خروجه من باطن الأرض مزيجا من الهيدروكربونات يتراوح بين أخف أنواع الغازات وأثقل أنواع الاسفلت. ومعمل التكرير في رأس تنورة هو معمل للمعالجة يتم فيه فرز الزيت الى عناصر نافعة يمكن مزجها ومعالجتها لتحويلها الى منتجات صالحة للاستهلاك.

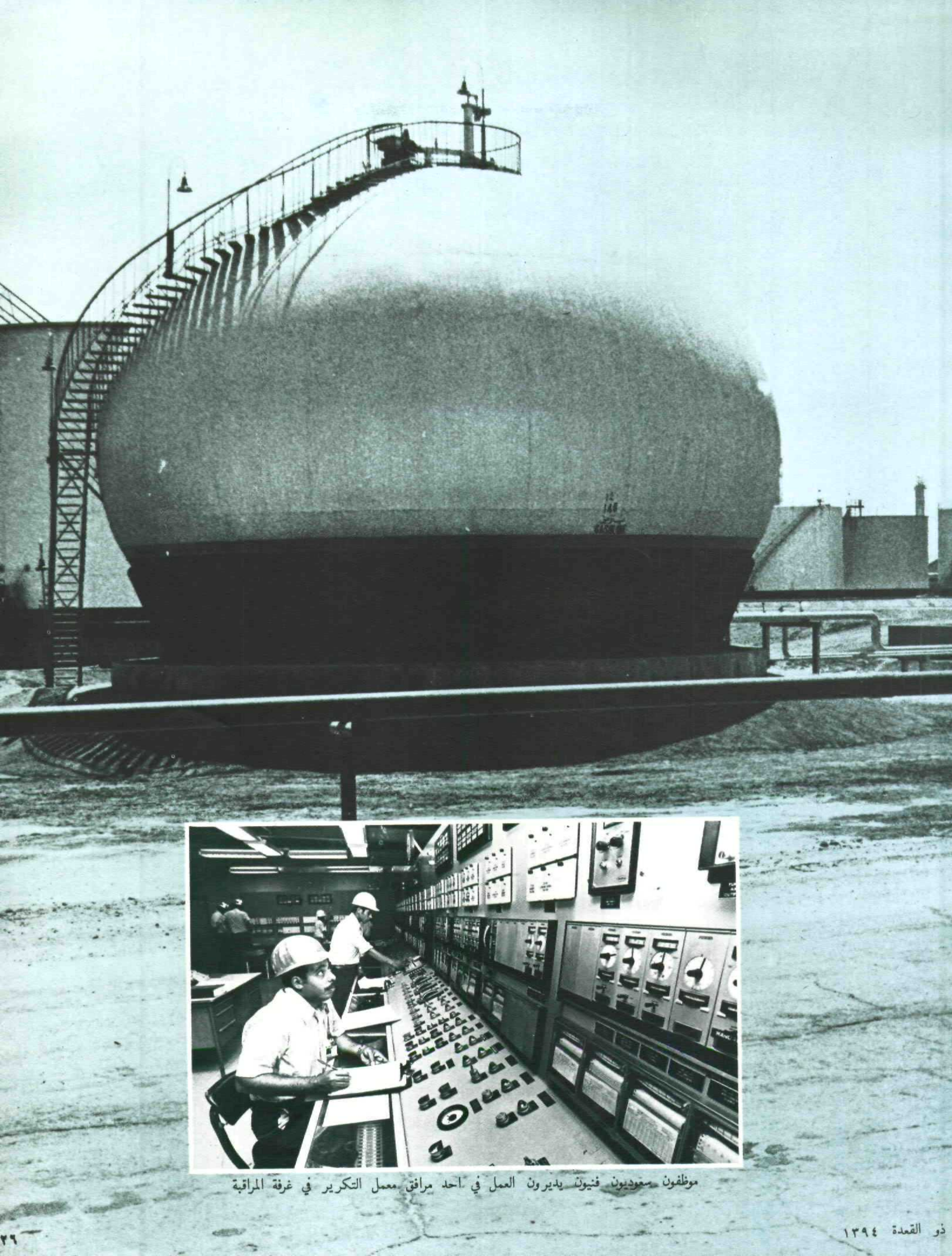
ويتولى معمل التكرير في رأس تنورة بالاضافة الى معالجة الزيت الخام معالجة الغازات القابلة للاستخلاص التي يتم انتاجها مع الزيت الخام. وتتم معالجة هذه الغازات لاستخلاص وتنقية البوتان والبروبان وهما عنصرا غاز البترول السائل. وتكون مرافق المعالجة في أي معمل للتكرير شديدة التعقيد ويتطلب تشغيلها وصيانتها مهارة وتخصصا.

التقطير

التقطير هو عملية الفصل الأساسية المتبعة في جميع معامل التكرير. والتقطير وسيلة فنية لفصل المواد الخفيفة اعتمادا على الفروق في درجات غليانها. وهذه الفروق هي التي تجعل من الممكن فصل العناصر المختلفة التي يتكون منها الزيت الخام بعضها عن بعض بواسطة التسخين ثم سحب كل عنصر على حدة عند غليانه وتكثيفه بالتبريد ليتحول ثانية الى سائل.

وبما أن درجات الغليان لبعض العناصر متقاربة فان عملية تقطير الزيت الخام تتيح الحصول على أصناف متفاوتة من المنتوج الواحد، فالجزء الثقيل من الكيروسين مثلا يمكن قبوله على أنه زيت ديزل، وهكذا فانه يمكن تجزئة كمية محدودة من الزيت الخام للحصول على كميات أكثر أو أقل من أجزاء معينة.

وبما أن بعض العناصر (خاصة الشوائب) لها درجات غليان متقاربة جدا من درجات غليان هذه الأجزاء فان الحاجة تدعو الى المزيد من التكرير الدقيق بطرق غير التقطير. وتكون المنتجات النهائية في معظم الأحيان مزيجا من أجزاء مختلفة، وعلى ذلك فان عملية التكرير عملية انتقائية ويجب أن تكون قابلة للتكييف



موظفون سعوديون فنيون يديرون العمل في احد مرافق معمل التكرير في غرفة المراقبة

لتأمين التوازن اللازم للحصول على المنتجات المطلوبة دون أن ينتج معها فائض من المواد غير المرغوب فيها .

وفي رأس تنورة يفصل الزيت الخام الى أجزاء مدرجة من الأخف الى الأثقل أو المتخلفات . وحيث أن معظم الغاز الطبيعي الموجود في الزيت الخام يكون قد فصل في معامل فرز الغاز من الزيت قبل ادخال الزيت الخام الى معمل التكرير ، فان الأجزاء الخفيفة الباقية المؤلفة من النفتا والغازات الخفيفة (وهي في الغالب البروبان والبوتان) تتجمع في أعلى البرج ثم تسحب منه لتجرى عليها عملية أخرى لفرز البروبان والبوتان من النفتا لاستعمالها في صنع غاز البترول السائل . أما النفتا فتستعمل بصورة رئيسية في انتاج البنزين أو تصدر الى الخارج لاستعمالها لقيما بتروكيميائيا . وبعد النفتا يسحب الكيروسين فزيوت الديزل الخفيفة والثقيلة . أما زيت الوقود الذي يشكل أكثر من نصف انتاج معمل التكرير فيتكون في معظمه من رواسب تخلفت بعد تقطير الأجزاء السالفة الذكر . ويصنع الاسفلت أيضا من متخلفات الزيت الخام بالتقطير الفراغي (الذي سنشرحه فيما بعد) .

وجميع الزيت الخام الذي يأتي الى معمل التكرير يمر أولا على احدى وحدات التقطير حيث يجري في أنابيب داخل فرن ، وبعد أن يتحول جزء منه الى بخار يدخل في عمود التقطير ، وهو وعاء اسطواني قائم يحتوي على عدد من الصواني الأفقية . وأكبر أعمدة تقطير الزيت الخام في معمل رأس تنورة يحتوي على ٣٥ صينية يدخل الزيت الى الصينية الخامسة منها ابتداء من القاعدة . ويجري السائل المكثف في الصينية الخامسة ثم ينزل الى التي تحتها بينما يتصاعد البخار الى أعلى . واذ يرتفع البخار يصادف سائلا أبرد نازلا الى أسفل يسمى السائل المعاد .

والصواني الأفقية مصممة بشكل يتيح للبخار أن يتصاعد على شكل فقاقيع صغيرة متخللا السائل النازل الى أسفل . وهنا يحدث تبادل حراري بين السائل والبخار يؤدي الى تبخر الجزيئات الخفيفة من السائل وتكثف الجزيئات الثقيلة من البخار . وبارتفاع البخار في العمود تقل درجة حرارته ويصبح أخف وزنا لأن أجزاءه الثقيلة تتكثف باستمرار بفعل السائل الجاري الى أسفل ، في حين أن حرارة السائل المعاد ترتفع أثناء نزوله من صينية الى أخرى ويصبح أثقل شيئا فشيئا .

وعند نقطة معينة في العمود يقترب السائل من درجة الغليان لجزء مرغوب فيه (الكيروسين مثلا) حيث يمكن سحب قسم منه الى عمود

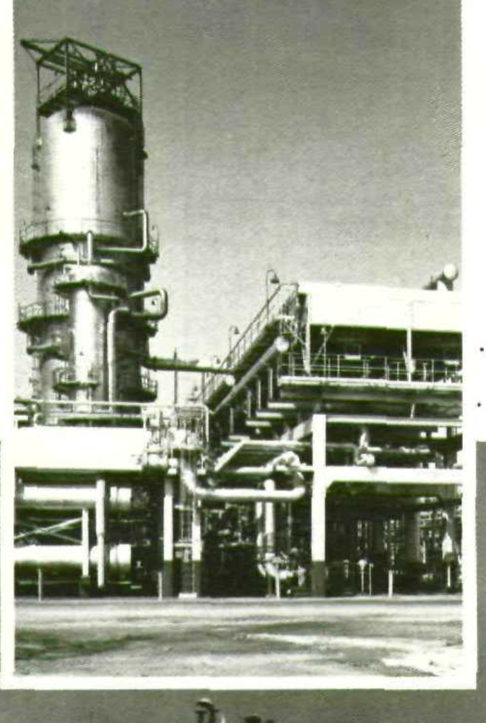
جانب من أحد مرافق التكرير في رأس تنورة

من غرفة المراقبة يستطيع الموظفون الفنيون تتبع مراحل سير العمل في مرافق معمل التكرير .



لازالة الأجزاء الخفيفة وهو في الواقع عمود تجزئة صغير . وهنا تزال من أجزاء الكيروسين والديزل عناصرهما السريعة التبخر . وفي وحدتين من وحدات التقطير توجد أيضا أعمدة تعمل تحت الفراغ حيث يمكن فصل المنتجات الأثقل على درجات حرارة أقل كثيرا مما يلزم تحت ضغط أعلى ، والواقع أن بعض المنتجات الثقيلة لا يمكن تجزئتها الا في الفراغ لأنها تبدأ في التحلل قبل أن تتبخر في الضغط الجوي.

وتستطيع وحدات تقطير الخام معالجة أكثر من نصف مليون برميل من الزيت يوميا . وهي كغيرها من وحدات معمل التكرير تعمل



المنتجات الرئيسية المصنوعة في عام ١٩٧٣ « في معمل التكرير برأس تنورة »

المنتجات	براميل	٪
زيت الوقود	١٠٠ ٩٤٠ ٢٧١	٤٦,٤٧
* البنزين	٤٤ ١٥٣ ٩٠٣	٢٠,٣٣
زيت الديزل	٢٦ ٣٣٥ ٤٧٠	١٢,١٣
وقود النفاثات	١٣ ٤١٣ ١٣٢	٦,١٧
غاز البترول السائل	٢٥ ٦٢٧ ٦٠٠	١١,٨٠
الكيروسين	٥ ٢١٦ ٩١٨	٢,٤٠
اسفلت ومنتجات اخرى متنوعة	١ ٥٢٠ ٧٠٩	٠,٧٠
المجموع	٢١٧ ٢٢٨ ٠٠٣	١٠٠

* بما في ذلك النفتا والبنزين الطبيعي والأنواع الأخرى من البنزين

المسال الى معمل التكرير*

العام	برميل يومياً
١٩٧٣	٦١٠٦٥٦
١٩٧٢	٥٦٠٩٢٣
١٩٧١	٥٥٨٨٥٣
١٩٧٠	٥٨٤٩٣٩
١٩٦٩	٤٤٢٣٠٩

* بما في ذلك الزيت الخام والمنتجات المحقونة المعاد استخراجها وسوائل الغاز الطبيعي .

وحدة قطف الزيت الخام برأس تنورة .

وحدة التهذيب الحراري من المرافق المهمة التي تسهم في تهذيب المنتجات البترولية وتحسين مواصفاتها .

ليل نهار سبعة أيام في الأسبوع ما لم توقف مؤقتا للصيانة أو الاصلاح .

التهذيب

تحتاج محركات السيارات الحديثة ذات الضغط العالي الى بنزين تكون درجة الاكتان فيه عالية (لمنع الدق) . ومن أجل ذلك تفصل النفتا ، وهي المادة الأساسية للبنزين ، بالمزيد من التقطير الى أجزاء خفيفة وعادية وثقيلة. أما الجزء الخفيف فتكون درجة الاكتان فيه عالية الى حد أنه يمكن استعماله بعد تركيزه لازالة العناصر الزائدة السريعة التبخر في مزج البنزين . وأما النفتا العادية والثقيلة فتكون درجة الاكتان فيها منخفضة ولذلك يجب تحسينها باعادة تركيب جزيئاتها بنسب جديدة مختلفة . وهذا هو عمل المهذبات الحرارية والمهذب بالوسيط الكيميائي في رأس تنورة .

وفي المهذبات الحرارية ترفع حرارة النفتا الثقيلة تحت ضغط يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ رطل على البوصة المربعة الى ما فوق ١٠٠٠ درجة فرنهايت (٥٣٨ درجة مئوية) ، فتتغير النفتا أو « تتهذب » أي أن درجة الاكتان فيها ترتفع حوالي ضعفي ما هي عليه في النفتا الثقيلة وتستعمل في مزج البنزين العادي .

وللحصول على درجة أعلى من الاكتان وحصيلة أكبر من البنزين يهذب جزء من النفتا أيضا تحت الضغط ، كما تعرض النفتا لوسيط كيميائي بوجود غاز مشبع بالهيدروجين . والوسيط الكيميائي مادة تزيد من سرعة التفاعل الكيميائي ولا تتأثر به .

والبنزين الممتاز ، الذي تبلغ درجة الاكتان فيه ٩٥ ، يصنع بمزج المنتج المهذّب بالوسيط الكيميائي مع مواد أساسية أخرى واضافة رابع أثيل الرصاص اليها .

المعالجة

تحتوي الأجزاء الخفيفة على كميات ضئيلة من الشوائب ، هي عادة مركبات كبريتية ، تعطي المنتجات رائحة كريهة أو تجعلها أكالة . وهذه الشوائب ينبغي ازالتها أو تحويلها الى مركبات أقل ضررا قبل تسويق المنتجات .

يقوم معمل ازالة الكبريت في رأس تنورة بازالة جزء من المركبات الكبريتية من زيت الديزل . ويتم ذلك برفع حرارة المنتج تحت الضغط وتعريضه للهيدروجين بوجود وسيط كيميائي ، فيتحد الكبريت بالهيدروجين مكونا كبريتيد الهيدروجين ، وهوسم خطير يتم التخلص منه بالحرق . ويمكن أيضا استعمال معمل ازالة الكبريت من زيت الديزل لتحلية الكيروسين .

وهناك أيضا مرافق للتحلية مهمتها تحويل « المركبتان » ، وهي مركبات كبريتية كريهة الرائحة ، الموجودة في غاز البترول السائل والنفتا ومقطرات الكيروسين ، الى مواد أخف شرا . وهذه العملية تعرف بعملية « تحلية » المنتجات ، وبها يتم تحويل « المركبتان » بالأكسدة الى ديسلفيدات ليست لها رائحة كريهة .

المزج

معظم منتجات رأس تنورة ، باستثناء غاز البترول السائل والكيروسين والنفتا ، انما يتم تجهيزها عن طريق المزج واضافة مواد معينة الى بعض المنتجات لتحسين نوعها . ويمكن أيضا صنع مزيجات خاصة لسد احتياجات العملاء من منتجات ذات مواصفات غير عادية .

والهدف من مزج البنزين هو الوصول الى درجة معينة من الاكتان . فهو قد يحتوي على ست مواد أساسية ، بما في ذلك النفتا الخفيفة والنفتا الثقيلة والمهذبات الحرارية والمهذبات بالوسيط الكيميائي مع كمية ضئيلة من البوتان . ويضاف رابع أثيل الرصاص لرفع درجة الاكتان للتمييز بين البنزين العادي والبنزين الممتاز .

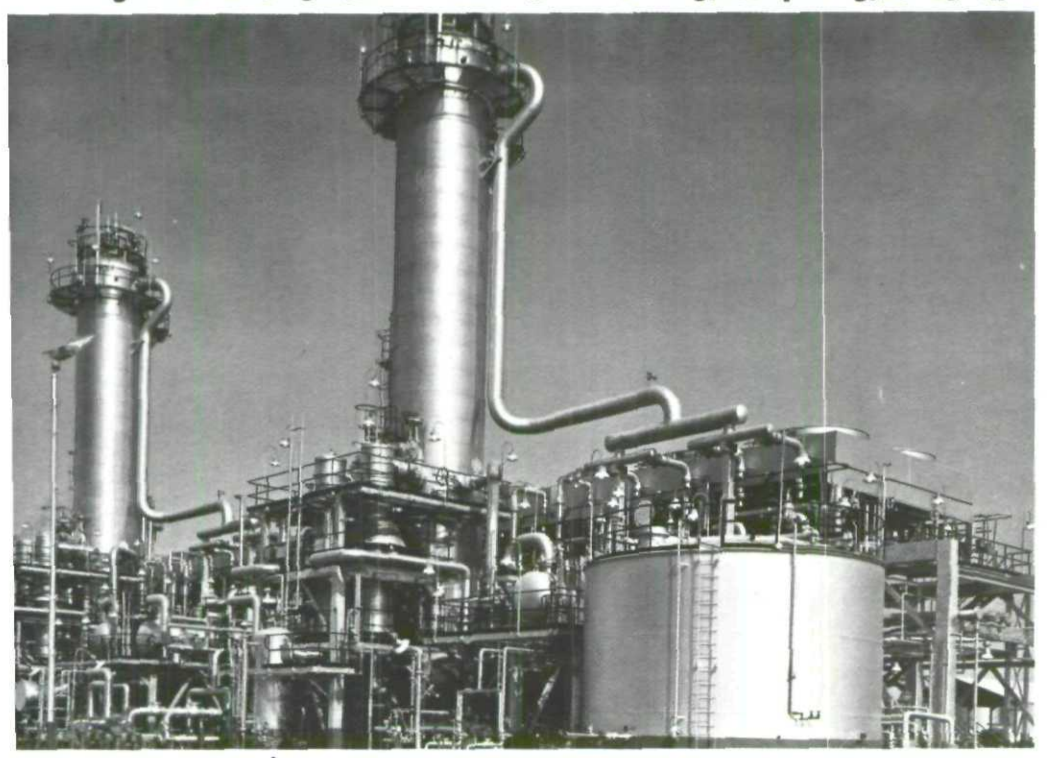
ومع أن الكيروسين نفسه لا يتألف من مزيج الا أنه قد يمزج مع مواد أساسية أخرى للحصول على منتجات معينة منها وقود النفاثات وأنواع خاصة من زيوت الديزل ومواد تخفيف الاسفلت .

ويمزج زيت الديزل لانتاج نوع أبيض وآخر أسود . والنوع الأبيض ، الذي هو أجود من الآخر ، يستعمل وقودا لمحركات الديزل الصغيرة في حين ان النوع الأسود يستعمل وقودا لمحركات الديزل الكبيرة مثل محركات السفن .

أما زيت الوقود فلا يحدد تركيبه مسبقا بل تفحص النوعية باستمرار أثناء عملية المزج حيث تستعمل المخففات ، مثل الكيروسين والديزل ، لتخفيض درجة لزوجته . ويستعمل زيت الوقود الثقيل بصورة رئيسية كوقود للسفن التي يتزود الكثير منها بالوقود من فرضة رأس تنورة .

الاسفلت

يتألف الاسفلت ، وهو أثقل منتجات الزيت الخام ، في معظمه من الرواسب المتخلفة من عدة عمليات تقطير ، تتم آخرها داخل عمود فراغي لأن درجات الحرارة العالية اللازمة لتقطير المنتجات الثقيلة تحت الضغط الجوي تسبب تفكيك الجزيئات مما يؤدي الى تغيير طبيعة المنتجات . ويحقن البخار الى داخل



جانب من معمل غاز البترول السائل في معمل التكرير برأس تنورة .

العمود الفراغي ليساعد على نزع جميع العناصر الخفيفة الباقية من الاسفلت . وللحصول على أنواع مختلفة من الاسفلت يمكن تعديل درجة الحرارة والضغط الفراغي وكمية البخار المحقون . ويفحص الاسفلت الناتج في المختبر لتحديد صلابته ولزوجته وغير ذلك من الخواص للتأكد من أنه لا يحتاج الى المزيد من المعالجة ، وعندئذ يمكن استعماله في رصف الطرق ، أو يمكن أن يخفف بمزجه بالنفتا الثقيلة أو الكيروسين أو زيت الديزل للوصول الى درجة اللزوجة المطلوبة . فالاسفلت المخفف يسهل استعماله ومزجه كما أن المنتجات الخفيفة الممزوجة به تتبخر بعد رصف الطرق .

واذا لزم انتاج اسفلت صلب للسطوح وطلي الأنابيب فان الاسفلت المتخلف من التقطير الفراغي يرسل الى وعاء تحويل الاسفلت حيث يتأكسد جزئيا بنفخ الهواء داخل الوعاء .

وأرامكو لا تصدر الاسفلت بل تنتج منه ما يكفي لاحتياجاتها واحتياجات المملكة العربية السعودية . وجميع الطرق ومهابط الطائرات تقريبا التي أنشئت في المملكة منذ عام ١٩٥٠ قد رصفت بالاسفلت المنتج في رأس تنورة .

غاز البترول السائل

يستعمل غاز البترول السائل على نطاق واسع في الأغراض المنزلية والصناعية وفي صناعة البتروكيمائيات . وهو اما بروبان أو بوتان أو مزيج منهما . ونظرا لسرعة تبخر غاز البترول السائل يجب حفظه على شكل سائل اما بواسطة الضغط أو التبريد . فالغازات الخارجة من معامل فرز الغاز من الزيت ومن معامل التركيز تضغط لكي يصبح بالامكان تبريدها وتحويلها الى سائل . وبعدئذ تجزأ المنتجات السائلة ، وتدعى سوائل الغاز الطبيعي ، للحصول على البروبان والبوتان ثم تعالج وتجفف . أما السائل المتخلف ، وهو البنزين الطبيعي ، فيباع على أنه نفتا خفيفة . ولارامكو معامل ضغط في أماكن متعددة وكلها تنتج سوائل الغاز الطبيعي . وفي رأس تنورة تجزأ سوائل الغاز الطبيعي وتعالج وتجفف في معامل مختلفة . وتضخ منتجات البروبان والبوتان النقية الى منطقة الفرضة البحرية في رأس تنورة حيث تبرد لكي يمكن خزنها تحت الضغط الجوي العادي . ويخزن البوتان على حرارة ٣٢ درجة فرنهايت (صفر مئوي) والبروبان على حرارة ٤٠ درجة فرنهايت تحت الصفر (٤٠ درجة مئوية تحت الصفر) .

وكان معمل غاز البترول السائل المبرد في رأس تنورة واحدا من أول المعامل التي صممت خصيصا لشحن هذا الغاز على ناقلات مبردة ذات تصميم خاص . وانه لمنظر غريب أن يشاهد المرء الأنابيب التي تنقل الغاز الى السفن وهي مغطاة بالصقيع الأبيض حتى في أحر أيام الصيف .

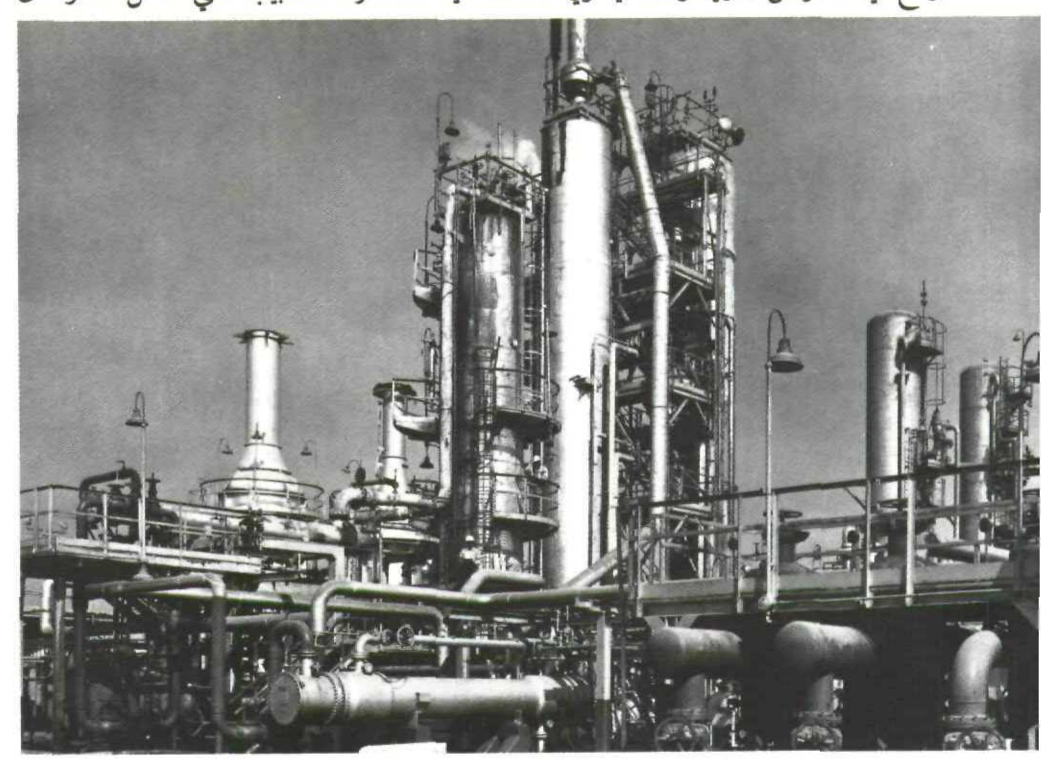
أما الغاز المعبأ في الاسطوانات والذي يباع محليا فهو مزيج من البروبان والبوتان (بنفس النسب تقريبا) ، وقد أضيفت اليه مادة ذات رائحة تساعد على اكتشاف التسرب أثناء الاستعمال . وتحتوي هذه الاسطوانات على مادة سائلة تحت ضغط يبلغ حوالي ١٢٥ رطلا على البوصة المربعة . غير أن هذه الاسطوانات لا تعبأ في معمل التكرير ولكن الشاحنات الكبيرة تقوم بنقل هذا السائل من معمل التكرير الى شركات خاصة تتولى تعبئته .

المنافع والخزانات

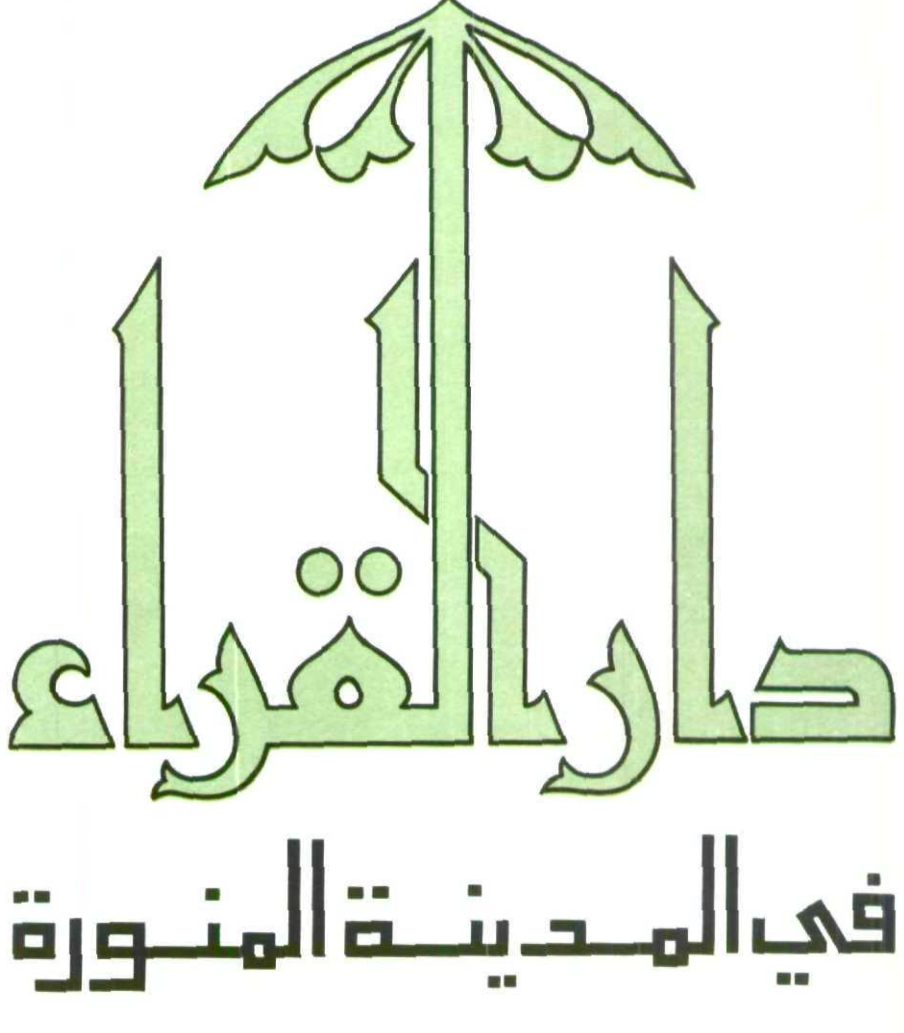
يتزود معمل التكرير والفرضة وأحياء أرامكو السكنية بالطاقة الكهربائية والبخار والماء المعالج والهواء المضغوط والماء المكرر من قسم المنافع التابع لمعمل التكرير الذي ينتج الطاقة الكهربائية باستعمال مولدات توربينية غازية وأخرى بخارية . وتزاد طاقة توليد الكهرباء لتلبية الطلب المتزايد بسبب بناء مرافق جديدة ، وتبلغ طاقة توليد الكهرباء الآن ما يزيد على ١٣٥٠٠٠٠٠٠ واط . وينتج الماء المقطر اللازم لقيما للمراجل وللشرب بتبخير مياه الآبار بعد تليينها وبتبخير مياه البحر . وينتج البخار في المراجل بضغط ٦٠٠ رطل أو ١٥٠ رطلا على البوصة المربعة . ويبلغ مجموع طاقة المراجل أكثر من ٣٥٠٠٠٠٠ رطل من البخار في الساعة .

ولضمان استمرار العمليات في معمل التكرير يخزن الزيت الخام والمنتجات الوسيطة والنهائية في خزانات قريبة . ويوجد أربعة أنواع من أوعية التخزين التي تستخدم لخزن الزيت الخام والمنتجات التي تختلف درجات تبخرها : فهناك خزانات بسطح مخروطي وخزانات عائمة السطح وخزانات شبه كروية وأوعية الضغط العالي . ومعظم الخزانات ذات السطح المخروطي والخزانات العائمة السطح لها أجهزة قياس أوتوماتيكية . وخزانات المزج مجهزة بخلاطات ذات مراوح بريش . وفي معمل التكرير حوالي ١٧٠ خزانا بين كبير وصغير يبلغ مجموع سعتها ما يقرب من ٦٠٠٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام والمنتجات المكررة والماء ■

تصوير : برنت مودي وشركة التصوير الوطنية .



جانب من معمل الأسفلت في رأس تنورة وقد اجريت عليه توسعة ضخمة مؤخراً .



بقلم: الأستاذ حمد الجاسر

كنت أود أن الأخ الأستاذ الكريم أمين مدني اختار صحيفة غير هذه المجلة « قافلة الزيت » عدد جمادي الأولى ١٣٩٤ ص ٣٦ — ٤٠ لنشر ملاحظاته حول ما نسب اليّ من آراء تتعلق بكتابه « العرب في أحقاب التاريخ ».وما دام الأستاذ المدني اختارها فمن حقي على رئيس تحريرها أن يفسح المجال لنشر ملاحظات حول ما طرقه الأستاذ أمين من مسائل متشعبة نسب الي آراء حولها ، وما كل قارىء اطلع على ما نشرته والأستاذ المدني لم يورد نصوصا وافية توضح لكل قارىء تلك المسائل على جليتها وهي :

- صلة نسب عبد الله بن مسعود الهذلي بقبيلة القارة .
- صلة نسب بني زهرة بقبيلة القارة أيضا .
- حول الشاعر الذي سماه الأستاذ المدني (ابن خذام) فخالفته في هذه التسمية .
- ماذا يقصد بالعروض أحد أقسام الجزيرة عند العرب ؟
- مكان قبر العالم الجليل محمد بن شهاب الزهري .
- مؤلف كتاب « الأخبار الطوال » .

ولا يعنيني من ذلك البحث المسهب الذي استغرق في هذه المجلة خمس صفحات بعنوان (القارات وصلات عضل والديش بهذيل وبني زهرة) اذ قلم الأستاذ السيال جال في أوسع مجال ، ولن يتسع صدر هذه الصحيفة لمجاراته ، ولو حاولت ذلك لوقفت عند أكثر جمله وقفات طويلة ، فاذا كان صديقنا الكريم الأستاذ أمين مدني يكتب الاسم الواحد في أربع صور أكثر من سبع مرات مثل (ايثغ) (١) الذي تسهل همزته ياءاً فيقال فيه (ييثغ) الا أن الأستاذ يكتبه (يتبع) مرتين و (أتبع) و (أتبغ) أربع مرات و (يتبغ) وله العذر في ذلك،فكيف بنصوص مضطربة من مصادر كثيرة بصرف النظر عن الاستنتاجات والتعليلات التي لكل قارىء وباحث الحق في أن يخالف فيها غيره ؟!

ان الأستاذ المدني يريد من ذلك البحث ، نفي وجود دار في المدينة في عهد الرسالة تدعى (دار القراء) مع أنه يدرك :

١ — ان كبار المؤرخين كابن سعد في « الطبقات » وابن جرير في « تاريخه » وابن عبد البر في « الاستيعاب » وغيرهم نصوا على

(١) أنظر كتاب « الاكمال » ج ١ ص ١٣

أن عبد الله ابن أم مكتوم لما قدم المدينة مهاجرا نزل (دار القراء) .

٢ — ويدرك أن مؤلف كتاب « التراتيب الادارية » (٢) نظام الحكومة النبوية — وضع لذلك الخبر عنوانا هو : (اتخاذ الدار ينزلها القراء ويستخرج منه اتخاذ المدارس) .

٣ — ويدرك أن الأستاذ أحمد أمين في « فجر الاسلام » نقل عن المقريزي ذلك الخبر ، وعلق عليه بعدم علمه عن هذه الدار ، وهل خصصت للدراسة أم لا .

٤ — ويدرك أن الرسول (ص) لما قدم المدينة أقطع الناس الدور فجاء حي من بني زهرة يقال لهم بنو عبد بن زهرة ، فقالوا : نكب عنا ابن أم عبد ، يقصدون عبد الله ابن مسعود فقال صلى الله عليه وسلم « فلم ابتعثني الله اذن ؟! ان الله لا يقدس أمة لا يعطى الضعيف فيهم حقه » .

٥ — ويدرك أن عبد الله بن مسعود هذلي النسب ، ولكنه حليف لبني زهرة ، وقد أقام فيهم بمكة ولهذا أنزله الرسول (ص) معهم لما هاجروا .

٦ — ويدرك أن مخرمة بن نوفل الذي أضيفت اليه الدار من بني زهرة .

٧ — ويدرك أن دار عبد الله بن مسعود التي يقال لها دار القراء دخل قسم منها المسجد النبوي في زيادة الوليد ودخل باقيها المسجد في زيادة المهدي (٣) .

٨ — ويدرك أن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) كان من مشاهير القراء في عهد رسول الله (ص) وقال عنه الذهبي في « طبقات القراء » (كان أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) وأقرأه ، قرأ عليه القرآن طائفة ، وتفقه به خلق كثير وكانوا لا يفضلون عليه أحدا في العلم) ، وقال عنه النبي « انك لغليم معلم » وقال : « من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبـد » ، وقـال ابن مسعود : لقد علم أصحاب رسول الله (ص) اني أقرؤهم لكتاب الله عز وجل .

هـذه النصوص المتقدمة أورد أكثرها الأستاذ أمـين في كتابه ، ولكنـه عقب عليها قائلا : (فكل من تحدث عن قراءة القرآن وتعليمه وجمعه ونسخه وحياة عبد الله بن مسعود لم يذكر أن داره كانت مدرسة للقرآن دون سواها ، أو كانت تسمى دار القراء أو دار القرآن) . (٤)

ثم يأتي بتعليل لكلمة (القراء) قائلا : (النص الذي ذكره الواقدي وابن عبد البر لا يكفي دليلا على أن دار القراء كانت مدرسة في عهد النبي (ص) وخلفائه) ثم يقول : (وان عبد الله بن مسعود ، وأخاه عتبة من القاريين ، وان بني زهرة الذين منهم عبد الرحمن ابن عوف يقال لهم القارة) ، ويقول أيضا : (وان اسم دار القراء صحف وان التصحيف اما أن يكون وقع في اسم القارة الذي كان يطلق على ابن عبد ومنهم الزهريون فقد يكون اسم (دار القراء) في الأصل (دار القارة) وكتابة (القارة) بدون ألف تجعلها قريبة من (القرة) و (القرة) بضم القاف عند العامة تعني جمع قارىء وعلى ذلك تكون دور بني زهرة ودار عبد الله وعتبة إبني مسعود سميت جميعها بـ (دار القارة) ثم صحفت ، فأصبحت تعرف بدار القراء .

ثم جاء بمقاله في هذه المجلة ليؤيد صلة قبيلة القارة ببني زهرة وبقبيلة هذيل والمقال بين يدي القارىء ولا أريد أن أزيده به معرفة وقد تكون خلاصته قول الأستاذ أمين (فافتراض أن العامة قد تكون أسمت محلة بني زهرة (دار القارة) قام على حيثيات لا يمكن للباحث عن حقيقة أضاعتها الشكوك أن يدير لها ظهره) ، ثم أضاف تعليلا جديدا هو (قد يكون اسم (دار القرة) مصحفا أصله (دار القراء) بفتح القـاف — صيغة مبالغة — وان دور بني زهـرة جميعها نسبت للقـرّاء عبد الله بن مسعود) والذي أعلق به على ما تقدم هو :

أولا : قبيلة القارة من أحابيش قريش ومن حلفائهم ولم يذكر مؤرخو المدينة الذين وصلت الينا مؤلفاتهم أحدا هاجر من هذه القبيلة الى المدينة حتى تكون لهم فيها خطة تعرف باسم دار القارة ، وقد بقوا على حلفهم لقريش ، وغزوا معهم في غزوة أحد ، بعد الهجرة بزمن ، واياهم عنى كعب بن مالك بقولـه :

وجئنا الى موج من البحر وسطه
أحابيش منهم حاسر ومقنع (٥)

ثانيا : بنو زهرة من قريش ، أرفع نسبا من القارة — الحلفاء — فكيف ينتسب هؤلاء الى حلفائهم ويتركون صريح نسبهم وبنو زهرة لهم فضل الهجرة والقدم في الاسلام ، ومنهم كبار الصحابة ومشاهير العلماء بخلاف القـارة .

ثالثا : نسب القارة أنزل من نسب هذيل بتسعة آباء كما في كتب النسب ، وقول ابن دريد أن الهون وعضل والقارة اخوة هذيل يقصد أنهم من بني خزيمة بن مدركة وهذيل أخو خزيمة ، وهو أصرح نسبا من نسب القارة .

رابعا : صلة عبد الله بن مسعود ببني زهرة صلة حلف فأمه منهم على ما نص على ذلك خليفة بن خياط (٦) ولهذا شاركهم في المنزل فجاورهم بمكة ، ثم في المدينة .

خامسا : عني مؤرخو المدينة بذكر خططها في الجاهلية والاسلام وحددوا منازل القبائل التي خط لها الرسول فيها خططا ، ولم يذكروا من بينها فيما وصل الينا من مؤلفاتهم — مثل « أخبار المدينة » لابن شبة و « المغانم المطابة » للفيروز آبادي و « وفاء الوفاء » للسمهودي وغيرها ، لم يذكروا دارا للقارة والحوادث التاريخية هي حوادث وقعت وليست آراء تستنتج من أخبار عامة .

وبالاجمال فنفي وجود دار تدعى (دار القراء) مع ما ورد في اثباتها من النصوص لا أري أن مجرد الاستنتاج يكفي لأبطال تلك النصوص ، وكذا القول بأن أصل كلمة (القراء) محرف عن (القارة) وان العامة هي التي حرفته ، فالكتب التي وردت فيها تلك النصوص تداولها العلماء منذ مئات القرون فما دخل العامة فيها ؟

إن حرية الرأي لا يشك أحد في احترامها وتقديسها ما لم تصل الى درجة محاولة هدم نصوص تاريخية لا يجد الباحث أمامها أية وسيلة من وسائل الشك في صحتها ، وصديقنا الأستاذ أمين مدني من أبعد الباحثين عن القول بهذا الرأي ، وأصدق دليل على ذلك هو كتابه الممتع الذي صدر جزآه وهما قائمان على دعائم من النصوص التاريخية مما شاده لنا متقدمو المؤرخين .

وارجيء الحديث عن المسائل الأخرى التي أشار الأستاذ الى رأيي حولها حتى أطلع على تفصيل آرائه فيها وله مني أطيب تحية ■

حمد الجاسر — الرياض

(٢) ج ١ ص ٥٦ (٣) «وفاء الوفاء» ص ٥١٧ و ٥٣٩ (٤) « العرب في أحقاب التاريخ» ص ١٨١ الى ١٨٥ (٥) « نسب قريش » ص ٩
(٦) «طبقات خليفة» ص ٣٦ و ٨٣ .

طُرُقُ الاتصَال
بَيْنَ المَخْلوقَاتِ البَحْرِيَّة



رسم لمجموعة من سمك السلمون.

بالرغم من الانتصارات العلمية التي حققها العلماء في مجال دراسة ظواهر المحيطات والبحار وإماطة اللثام عن كثير من الغوامض والأسرار ، فإن ثمة ظاهرة علمية ما زالت تستقطب اهتمام العلماء وجهودهم .. تلك هي الإشارات الكيميائية CHEMICAL SIGNALS التي تطلقها أنواع عديدة من الكائنات البحرية كوسيلة للتخاطب والتفاهم والاتصال فيما بينها .. وفي سبيل ذلك يعكف علماء البحار على إجراء سلسلة من التجارب والأبحاث البيولوجية على عدد من المخلوقات الضخمة ولا سيما الحيتان ، لحل شفرة هذه الإشارات الكيميائية والوقوف على ما يسمى بالنظام الاجتماعي للكائنات العضوية البحرية .



يقول الدكتور « جون ه . تود » الذي يعمل حاليا عالما مساعدا في معهد « وودز هول » لدراسة ظواهر المحيطات في ولاية مساشوستس الأمريكية والذي أسهم في اقامة مختبر للاتصالات بين المخلوقات البحرية يقول : بينما كنت قبل سنوات أجري دراسة قرب ساحل خليج « هدسن » هبت عواصف شديدة ، كانت أمواج الماء خلالها تندفع بشدة نحو الشاطيء ، وكان البرد قارسا جدا ، وفجأة شاهدت في أعلى قمة موجة هائلة قنديل بحر ضخما يصارع الأمواج العاتية في محاولة يائسة للبقاء بعيدا عن الشاطيء ، وقد لفته الموجة العاتية ولفظته بقوة نحو الشاطيء. وكان هذا القنديل الضخم من نوع « سيانيا — Cyanea » لونـــه أحمر قان ، ويبلغ قطره حوالي أربعة أقدام ، وله مجسات مثل الخيوط تمتد بضع ياردات في جميع الجهات . وقد لاحظت أن نبضه ينخفض كلما أقصته الريح عن الشاطيء وأخذت تجفف عنه الماء . وكما يفعل الأطفال تماما جريت وأحضرت مجذافا وحاولت أن أدفع هذا القنديل الضخم الى البحر على أمل أن تعود اليه الحياة . وفي تلك اللحظات انتابني شعور هائل ، لم يفارقني أبدا ، وهو ان ثمة أسرارا كبيرة عن حياة البحار والمحيطات ما زالت غامضة ومجهولة لم يكشف النقاب عنها . وكان ذلك المشهد حافزا ومشجعا لي على اعتزام دراسة تصرفات المخلوقات البحرية وظواهر سلوكها ، بالاضافة الى محاولة التعرف الى ظاهرة الاتصال التي تتم بين المخلوقات البحرية ، وذلك لأن وسائل الاتصال تعتبر شيئا أساسيا بالنسبة للحياة ، فهي الطريقة التي يتعرف بواسطتها النبات أو الحيوان الى نوعه الخاص ، أو الى التمييز بين أصدقائه وأعدائه ، ومعرفة أنواعها وفصائلها وأعمالها . وهذا ينطبق بالفعل على جميع الكائنات الحية بما فيها جرثومة البحر الصغيرة . ونحن نعرف أن الكائنات العضوية الدقيقة تعتبر مسؤولة عن اعادة دورة الأعمال العضوية في البحار ، ويتصل بعضها بالبعض الآخر عن طريق اشارات كيميائية .

ان مثل هذه الظاهرة ، لتثير دهشة الانسان حينما يرى مدى صغر حجم هذه الكائنات الحية الدقيقة وبساطتها ، وهذه الظاهرة تنطبق على الحيتان التي تعتبر من أكبر الحيوانات الثديية والتي يصل طول بعضها الى مائة قدم ويصل وزنه الى حوالي ١٥٠ طنا . ومما يؤسف له أن مستقبل هذه الحيتان بات غـير مأمون لأن بعضها ينتمي الى نوع الحوت الأزرق ، الذي يوشك على الانقراض بمواصلة الانسان صيده وقتله . ورغم بعض الحماية الممنوحة لهذا الحوت فان عدده آخذ بالنقصان . ومن المحتمل أن يكون هناك عدد من هذه الحيتان الآن التي لا تستطيع الاتصال ببعضها البعض ، أو أن تجد لها رفيقا ، أو حتى الاجتماع معا لتكون قوة دفاعية ضد أعدائها ، مما يعرضها الى الفناء . ولقد بدأنا في السنوات الأخيرة بمعرفة بعض جوانب حياة هذه الحيتان وكيفية اتصال بعضها ببعض . فهناك دلائل تشير الى أنها قد أصبحت عضوا اجتماعيا هاما بين مجتمع المخلوقات البحرية ، فهي تطلق اشارات صوتية تمتد الى مسافات طويلة ، ما تزال رموزها تحتاج الى تفسير ، وهذه الاشارات تبدو للانسان وكأنها سمفونيات غريبة . فالاشارات الصوتية التي يطلقها الحوت الأحدب مثلا ، تبقى مدة ٤٥ دقيقة وتستمر أحيانا مدة ساعة ، وهذه الاشارة الصوتية تتكرر بصورة متشابهة تقريبا . وقد تتخللها نبرات مرتفعة ربما تعكس حالة الحوت النفسية ، ونبرات منخفضة تبدو وكأنها كلمات تمتد ذبذباتها الى مئات بل الى آلاف الأميال اذا لم يعترض طريقها حاجز صوتي . ويرى الخبراء في تصرفات المخلوقات البحرية أن الأصوات ذات الذبذبات المنخفضة تدل على نوع الحيوان ، ولربما كانت ترمز الى مكان وجوده ، وبهذه الطريقة تتمكن الحيتان من التعرف الى أمكنة وجود كل منها بين مياه المحيط الشاسعة . أما الذبذبات الصوتية المرتفعة فقد تدل على نوع الجنس وحالته النفسية أو احتياجاته ، وبما أن لغات الحيوانات تعتبر الوسيلة التي تنظم بواسطتها حياتها بالنسبة لعلاقة أحدها بالآخر ، مثل الانسان تماما ، لذلك فان الاتصالات تعتبر الدعامة الأساسية لاستمرار مراحل حياتها . وأما بالنسبة للأسماك والمخلوقات البحرية الأخرى فقد تشكل أضعف نقطة في نظام حياتها . وبما أن هذه الاشارات التي تطلقها الحيوانات البحرية يمكن ايقافها بواسطة حواجز اعتراضية بسيطة ، فان مثل هذا العمل قد يكون له أثر مفجع أو رد فعل

سيّء على تصرفاتها الاجتماعية ، مما قد يؤدي الى حجب جيل جديد منها عن الوجود . ومن ناحية أخرى ، فان هناك مناطق ساحلية كانت معروفة بكثرة وجود أنواع عديدة من الأسماك والمخلوقات البحرية الأخرى ، وقد أصبحت الآن خاوية منها ولم يكن السبب في ذلك صيدها ، بل ربما حجز الاشارات الصوتية الصادرة عنها أو عزل الأم والأب عن صغارهما التي تركت فريسة للاعداء بدلا من العناية بها . وهكذا فان الحيوط التي تربط مخلوقات البحر بعضها ببعض قد تصاب بعطب وذلك عندما يفقد بعضها المقدرة على اتصاله بالبعض الآخر . وهناك أمور أخرى يمكننا الوقوف عليها بالنسبة الى بعض جوانب الحياة لدى الحيوانات البحرية وكيفية اتصالها ، وذلك عن طريق « علم الاتصال المائي — Marine Communication Science » الذي قد يقودنا الى اكتشاف وسائل بيولوجية جديدة تساعد على اقامة مزارع على شطآن البحار لتربية الأسماك ولانماء الثروات المائية . وفي الوقت الذي نستطيع فيه فهم هذه الاشارات الكيميائية التي تعتبر احد أسرار حياة الكائنات البحرية ، فاننا بذلك نستطيع أن نقلدها . فهذه الاشارات الكيميائية والسمعية ، يمكن انتقاؤها واستعمالها بعد ذلك للحفاظ على حياة الحيوانات البحرية وتكاثرها . وعلى سبيل المثال يمكن استعمال بعض الاشارات الصوتية كوسيلة لاغراء الأسماك وجذبها نحو أماكن الحاضنات البحرية ، أو تربيتها في المزارع البحرية . واذا ما عرفنا تصرف كل نوع من المخلوقات البحرية والاشارات التي يطلقها ، استطعنا أن نضع الأسس السليمة لهذه الأعمال والدراسات البحرية المعقدة . وقبل بضع سنوات ، قام معهد « وودز هول » السالف الذكر ، بتنظيم جماعة من الخبراء ،

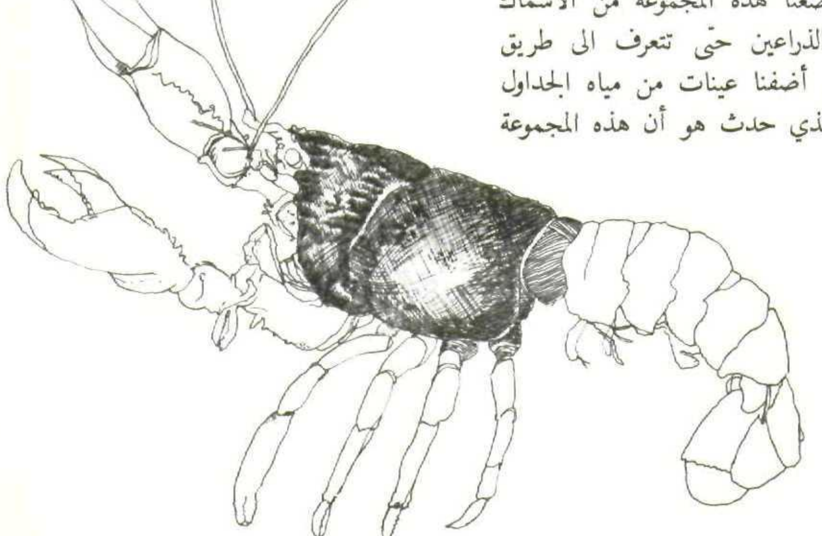


حوت « البالين » من المخلوقات البحرية التي يجري عليها علماء البحار دراسات لمعرفة ظاهرة الاتصال فيما بينها .

لدراسة طرق الاتصال المتبعة بين المخلوقات البحرية . وقد ركزت هذه الجماعة جهدها على طرق الاتصال الكيمائية باعتبارها أكثر الطرق انتشارا بين الأحياء المائية ، غير أن نتائج هذه الدراسة كانت أحيانا مخيبة للآمال، وأحيانا أخرى مثيرة ومفيدة ، لأن دراسة مثل هذه الأسرار الخفية التي تكتنف حياة البحار ، قد تجعل الانسان يشعر بمدى ضآلة معرفته بالبحار وما تحتضنه في أجوافها من مخلوقات . ومن بين هذه الأسرار ، مقدرة الأسماك على الرحيل والانتقال الى أماكن قاصية جدا ثم العودة الى مسقط رأسها لتتوالد وتتكاثر هناك . ومن هذه الأسماك الرحالة نجد سمك « السلمون » الذي يغادر مكان توالده في أعالي الأنهار ويتجه نحو المحيطات حيث يبقى بضع سنوات ، ثم تدفعه غريزته الى العودة الى مسقط رأسه ليضع بيضه هناك . ورغم ضآلة معرفتنا بالظروف المحيطة بظاهرة الرحيل لهذا النوع من الأسماك ، أثناء وجوده في المحيط ، فاننا عرفنا بعض الشيء عن المرحلة الأخيرة من حياته وهو في طريق عودته الى مسقط رأسه ، فقد تبيّن لنا أن مراكز الارشاد الكيميائية ، هي التي توجه هذه الأسماك أثناء رحيلها . وقد دلت التجارب على ان سمك «السلمون» يفقد مقدرته على معرفة مجرى النهر الذي جاء منه اذا ما أغلق أنفه حيث يفقد حاسة الشم لديه . كما عرض المختصون بدراسة الأجهزة العصبية طريقة خاصة تبين أهمية حاسة الشم لدى هذا النوع من السمك في تحديد معالم طريق عودته ، وذلك بالاستماع الى الذبذبات التي يصدرها دماغ السمكة العائدة الى مسقط رأسها ومقارنتها بالذبذبات التي تطلقها السمكة المقيمة، فحينما يقترب السمك العائد الى مسقط رأسه من ساحل البحر ويبدأ في طلوع النهر ، يتوقف جزء كبير من الدماغ عن اصدار الذبذبات تماما ، بينما تبدأ منطقة حاسة الشم عملها بمنتهى النشاط ، وكأنما قد توقف ذلك القسم بانتظار الاشارات الكيمائية من الأقسام المجاورة للدماغ · وهذه الاشارات هي التي ترشد كل سمكة الى المكان الذي ولدت فيه قبل سنين عديدة .

لقد أجريت دراسات في معهد « وودز هول» لمعرفة الأمور التي تعتمد عليها الأسماك في تحديد معالم الأنهار المؤدية الى مسقط رأسها وذلك خلال المرحلة الأخيرة من رحلة العودة ، وقد أجريت التجارب أيضا على نوع آخر من السمك ينحدر من فصيلة السردين يدعى « الرنكة — Herring » من نيو انجلاند لكونه يضع بيضه في جداول عديدة . وبما أن هذه الجداول يبعد أحدها عن الآخر بضعة أميال فقط ، فقد بدا واضحا أن هناك اختلافا في الرائحة المنبعثة من هذه الجداول التي تعتمد عليها الأسماك في تحديد معالم طريق عودتها . ولكننا وجدنا عكس ذلك عندما نصبنا الشباك واصطدنا مجموعة من سمك الرنكة من نهر « بورنا دال » ، وبعد أن تعرفت الى الجداول التي انحدرت منها وبدأت رحلتها فيها . ثم وضعنا هذه المجموعة في جدول اصطناعي تابع للمختبر السالف الذكر تصب فيه مياه ارتوازية . وقد صمم هذا الجدول الاصطناعي على شكل « Y » ثم وضعنا هذه المجموعة من الأسماك عند ملتقى الذراعين حتى تتعرف الى طريق عودتها ، ثم أضفنا عينات من مياه الجداول الأصلية . والذي حدث هو أن هذه المجموعة

رسم لاحدى جرادات البحر « Lobstr » التي تخضع لتجارب العلماء .



من السمك بقيت عند نهاية الجدول الذي كانت تنساب فيه مياه الآبار الارتوازية . وبعد ذلك بدأنا في اضافة مياه الجداول الأصلية الى احدى الذراعين ، كل جدول على حدة ، وعندما واجهت الأسماك مياه جداولها الخاصة أخذت اتجاهها الصحيح واختارت الذراع الذي تنساب فيه مياه جدولها . وهكذا ثبت لنا أن مياه الجداول الأصلية تحتوي على آثار كيماوية ترشد السمك الى مقر تفقيسه . وعلينا الآن أن نعرف طبيعة هذه الآثار الكيماوية الموجودة في الجداول . فقد تقودنا هذه المعرفة الى طرق جديدة تمكننا من الاشراف على توجيه الأسماك المهاجرة . كما يتمكن مربو الأسماك بواسطة هذه الارشادات أو الاشارات الكيماوية ، من اجتذاب اعداد من الأسماك الكاملة النمو الى أحواض خاصة، ثم يجمعونها ويفرغون ما بداخلها من بيض ومن افرازات ليتولوا عملية تفقيس البيض بطرق اصطناعية . ومن ناحية أخرى يقوم مربو الأسماك بتكييف الصغار وترويضها على اشارات كيماوية خاصة ثم تركها لتذهب الى البحر حيث تقضي عدة سنوات لتعود بعدها الى مقر تفقيسها الاصطناعي مسترشدة بعلامات كيماوية مميزة تلقى في المياه الساحلية . وقد لا يمضي زمن طويل حتى يصبح لدى مربي الأسماك علامات كيماوية مميزة يستعينون بها في جلب الأسماك الى الأحواض الخاصة بها والواقعة على امتداد الساحل . واذا ما تمكنا من تطوير مثل هذه السبل الفنية الخاصة بتربية الأسماك ، فمن المحتمل أن يعود سمك « السلمون » مرة ثانية

الى موطنه الأصلي في « نيو انجلاند » . ومما لا شك فيه أن مقدرة السمك على الهجرة من موطنه والعودة اليه ، تعتبر من غرائب الحياة لدى المخلوقات البحرية ، كما أن الرابطة الاجتماعية القائمة بين هذه المخلوقات وطرق الاتصال فيما بينها لا تقل غرابة عنها . فقد اكتشفت منذ سنوات خلت ان بعض أنواع السمك قد استحدث طرقا كيماوية لنشر المعلومات الاجتماعية فيما بينها . وهذا النوع من السمك يستطيع أن يتعرف الى فصيلته ، والى اليفه ، والى عدوه والى أحوال الأسماك الأخرى ، بل ويستطيع أن يميز بين الأنواع الأخرى بواسطة « الرموز أو الاشارات الكيماوية – Chemical Codes or Signals » وحدها . وهذا السمك يعتبر أن العالم يتكون بالنسبة اليه من مواد كيماوية دائبة التغير . وقبل التحاقي بمعهد « وودز هول » بقليل لاحظت أن سمك « السلّور – Catfish » الذي كنا نجري عليه سلسلة من الدراسات ، كان يتصرف تصرفا عدائيا ومشاكسا . فقد كان بعضه أحيانا يقتل البعض الآخر اذا ما حدث نزاع أو صراع فيما بينها . ولكن حينما زدنا عدد هذه الأسماك في حوض الاختبار عزفت عن تصرفها العدائي وأخذت تتصرف تصرفا عاديا وطبيعيا . وقد أظهرت الأبحاث المستمرة ، أنه عندما يرتفع عدد هذه الأسماك الى بعض المستويات ، فان سمكة السلور تفرز مواد كيماوية « Antiaggression Substances » تساعد بدورها على وضع حد لأسباب العداء بين أفراد مجتمعها واشاعة الأمن والتعايش والتعاون فيما بينها . وقد تمكنا بذلك من حقن هذه المواد الكيماوية الفعالة في أحواض تحتوي على أعداد قليلة من السمك . كما أدخلنا عنصر التآلف بين أسماك كانت فيما مضى تكمن روح العداء لبعضها البعض . وعلى ضوء هذه النتائج ، من المحتمل جدا استخدام مواد التآلف الكيماوية هذه في مزارع تربية الأسماك نظرا لأنه ليس من اليسير في الوقت الحاضر المحافظة على الأحياء البحرية في حالة صحية جيدة في الأحواض المائية ، ولنأخذ على سبيل المثال تصرفات « جراد البحر – Lobsters » انه سريع الغضب ، وقد يجنح الى الافتراس اذا ما وضع في تلك الأحواض الاصطناعية الخاصة بتربيتها . وتعتبر تربية جراد البحر تجارة محدودة بسبب هذا التصرف العدائي . لذلك فلا بد من عزله في أحواض خاصة مما يزيد في تكاليف تربيته . ولو أننا استطعنا أن نكتشف علاجا ناجعا لوضع حد لهذا العداء ، لانخفضت تكاليف تربيته كثيرا .

هذا ، وقد قامت مجموعة من العلماء في معهد « وودز هول » بدراسة تصرفات جراد البحر من الناحيتين الفسيولوجية والاجتماعية ، واكتشفت حالة استثنائية في تصرفاته العدائية نحو جيرانه . فاذا ما انتزعت الأنثى قشرتها الخارجية زالت روح العداء لدى الذكر فورا وصار يرقص مع الأنثى رقصا وديا يصعب تصويره . وفي مثل هذا الجو المفرح يشيع المرح بين الذكور ويحل التآلف والوئام . وحالما يتآلف الذكر والأنثى تبدأ قصة جديدة تتعرض فيها حياة الأنثى الى الخطر ، لأن اليفها الذي كانت حياته مفعمة بالحماس والغيرة لا يلبث أن ينقلب فجأة الى عدو ويهاجمها ، وهنا تحاول الأنثى أن تنجو بحياتها فتلجأ الى مكان أمين تقيم فيه ثلاثة أيام أو أربعة الى أن تصبح قشرتها الجديدة قاسية . ومن الأمور الغريبة الأخرى التي استقطبت اهتمام فريق العلماء ابان دراستهم لتصرفات جراد البحر ، اكتشافهم أن هناك مادة مثيرة للغريزة الجنسية لها تأثير كبير في تصرفات هذا النوع من الجراد وسلوكه الجنسي وتعرف هذه المادة علميا بـ « فرمون – Pheromones » وعندما تنتزع أنثى الجراد قشرتها الخارجية فانها تفرز مادة الفيرومون المحببة لدى الذكر . وقد اكتشف العلماء هذه الظاهرة من خلال تجربة قاموا بها في المختبر بعد أن أخذوا عينة من ماء حوض انتزعت فيه احدى اناث جراد البحر قشرتها وسكبوها في حوض احتجزوا فيه عدداً من الذكور ، وعلى الفور تحولت تصرفات الذكور العدائية الى تصرفات كلها رقة ودعة . وفي تجربة ثانية أخذ هؤلاء العلماء عينة أخرى من الماء نفسه وسكبوها في حوض يضم ذكرا وأنثى من جراد البحر لم يحن وقت اخصابها . وعندما توانت الأنثى عن انتزاع قشرتها ، لاحظ العلماء أن الذكر أخذ يتودد اليها رغم تمنعها وعدم تجاوبها معه . عندها بدأ العلماء يدركون مدى تأثير الاشارات الكيماوية على نمو جراد البحر وعلى تصرفاته في الوقت نفسه . ويعتقد العلماء بأن هذه الظاهرة الغريبة التي لاحظوها في تصرف جراد البحر ، قد تساعدهم على تربية مجموعات كبيرة منه .

وبما أن دراسة وسائل الاتصال المتبعة بين الأحياء المائية متفرعة ومتشعبة ، فقد وجه معهد « وودز هول » اهتمامه الى تحديد مستوى سطح البحر وتوسيع قناة « بنما » أو فتح قناة جديدة تحل محلها ، وقد مضى على دراسة هذا المشروع عدد من السنين ، فقد ظل المحيط الأطلسي بالنسبة للاسماك منفصلا عن المحيط الباسيفيكي وحتى بعد أن افتتحت قناة بنما ، لأن القناة تمر في بحيرة كبيرة من الماء العذب وهذه البحيرة تشكل بدورها حاجزا منيعا أمام تنقلات المخلوقات البحرية بين المحيطين ، لذا يرى خبراء البحر المختصون أن فتح قناة على مستوى سطح البحر سيساعد ولا شك على اعادة جمع الشمل بين أنواع الكائنات البحرية التي انفصلت عن بعضها البعض منذ ملايين السنين . ولكننا نتساءل ما اذا كان هذا العمل سيؤول بالضرر على أنواع أخرى من الكائنات البحرية التي تربطها ببعضها البعض صلات قوية وعميقة .

ومن ناحية أخرى ، أجرى فريق العلماء دراسة على سمك « القوبيون – Goby » المعروف بميوله العدائية رغم أنه يعيش في جماعات من بني جنسه ، وهو يستخدم اشارات بصرية وسمعية وكيماوية في اعتداءاته وخداعه المستمر . وهناك أنواع أخرى عديدة شبيهة بسمك « القوبيون » يكثر وجودها على جانبي قناة « بنما » ، الى جانب نوعين منه يكثر وجودهما على ساحل المحيط الأطلسي أحدهما يعرف باسم « سوبوراتور – Soporator » والآخر يعرف باسم « كوراكاو – Curacao » . بينما يعيش نوعان آخران على ساحل المحيط الهادي أحدهما ويعرف باسم « أندراي – Andrei » والآخر ويعرف باسم « راموسوس – Ramosus » وكذلك الأنواع الأخرى الموجودة على الساحل نفسه فانها تحمل الصفات الجنسية ذاتها . فالنوعان الموجودان على ساحل المحيط الهادي يمكن أن يشاهدا أحيانا في البرك التي يكونها الجزر ، مع أنواع أخرى شبيهة بهما . ومع ذلك فانهما يستطيعان أن يميزا ذكور نوعيهما

خلال موسم التلقيح ، وكذلك النوعان الموجودان على ساحل المحيط الأطلسي .

هذا وقد تبين للعلماء أن سمك القوبيون قد استطاع أن يطور طرق عزلته التناسلية ، وأن يعرف كيف يختار نوعه الخاص فقط ، ومع ذلك فان هذه الظاهرة يمكن افسادها بسهولة ، فحين وضع «قوبيون» المحيط الأطلسي تحت ظروف تجريبية مع شبيهه «قوبيون» المحيط الهادي ظهرت نتائج جديدة منها ، أنه تم التزاوج بين النوعين ، وان العوائق البيولوجية العادية ، والاشارات الجنسية قد بطل مفعولها ، ولكن الفقس الجديد الذي تربى في الأحواض التجريبية كان يختلف عن أبويه ، وهذا ما ينم عن التشاؤم ، لأن الفقس تم بطريقة التهجين ، وهذا النوع من الفقس يختلف عن النبات الذي ينمو بطريقة التزريع ، فالأول لا يستطيع التكيف مع ظروف الحياة المحيطة به ، لذلك فقد مات معظمه بسرعة ، غير أن هذه التجربة قد أظهرت على الأقل، بين عشية وضحاها ، أنه من الممكن التغلب على عامل الانعزال أو الانفصال الذي عاشته هذه الأنواع من الكائنات البحرية ملايين السنين . وعند هذا المفترق فاننا لا ندري ما اذا كان هذا التطور المعاكس ينطبق على سمك «القوبيون» فقط أم على جميع أنواع الأسماك الاستوائية . لذلك فاننا سنجعل من سمك القوبيون نموذجا للاجابة عن أسئلة كثيرة تدور حول مدى تأثير الانسان على الكائنات التي تكثر في مناطق المحيطات القريبة من الشاطيء . وهكذا نرى أن في كل يوم نكتشف سرا من الأسرار التي تكتنف حياة هذه المخلوقات المائية ولغاتها وغرائب عاداتها ، ومع ذلك فان دراسة وسائل الاتصال بين المخلوقات المائية ، متفرعة ومتشعبة . وليس من السهل أن نتكهن بما سيقودنا اليه صوت الحوت .

ولكننا تعلمنا شيئا واحدا مهما ، وهو أن هذه المحيطات ستكون مفتوحة أمام نشاط الكثيرين من الخبراء والعلماء ، وأملنا وطيد في أن يتمكن الانسان من استغلال هذا الخضم الواسع من البحار الذي يشكل مصدرا هائلا للثروات الحيوانية التي سيجد الانسان فيها مخرجا من الضائقة الغذائية التي قد يتعرض لها بنو الانسان في المستقبل نتيجة لظاهرة النمو السكاني ■

زكريا البنا — هيئة التحرير

أحد قناديل البحر الضخمة «Cyancea» من بين المخلوقات البحرية العجيبة التي يجري عليها العلماء سلسلة من التجارب في هذا الحقل .

دموع الفرح

بقلم: الأستاذ حسن حسن سليمان

استيقظ من نومه مبكرا بعد ليلة طويلة لم يدع فيها الأرق المشوب بالقلق والتوتر والترقب للنوم سبيلا كي يتسلل الى جفنيه الا مخالسة ، ومع ذلك فقد أحس بمرح وخفة ونشاط بشكل لم يعهده من قبل ، كأنه نام أسبوعا كاملا . نظر الى ساعته فوجد عقاربها ما زالت تقترب من الثالثة بتثاقل وبطء كأنما أعياها طول الدوران ، فهي تدور على رغم منها وبودها لو تتوقف . وارتفع صوت المؤذن في أجواء القرية رخيما متماوجا منسابا يوقظ الحياة الغافية في أحضان القرية الوادعة ويتردد صداه بين الجبال والوهاد يكسر صمت الليل ، فنزل على قلبه بردا وسلاما وأحس له اليوم طعما الذ وحلاوة زائدة ، فوثب من فراشه ، توضأ وصلى الصبح ، وراح يدعو الله وقلبه أكثر ما يكون صفاء ونقاء أن يحقق آماله وأن يكلل مساعيه بالنجاح .

ثم عاد واستلقى على سريره يترقب طلوع الشمس ليذهب الى المدينة مع أول سيارة تذهب اليها ، فهو اليوم على موعد مع فرحته الكبرى وسعادته الحقيقية ليجني ثمرات جهده وصبره وعرقه فقد أذيع ليلة أمس أن نتائج امتحانات السنة النهائية بالجامعة ستعلن اليوم في الصحف .

وعاد بأفكاره يسترجع الماضي القريب ، قبل سنوات خمس خلت ، حين وجد نفسه وعلى غير توقع أو انتظار ، بلا عمل ، ولم يكن عمل حسابا لمثل هذا الموقف ، بل لم تكن ظروفه المادية لتسمح له بذلك فقد كانت التزاماته أكبر بكثير من راتبه القليل . وأحس آنذاك كأنما تلقى ضربة على أم رأسه بمطرقة أطارت صوابه وأفقدته وعيه وأوقعته في دوامة ليس لها قرار وأسلمته الى اعصار لا يعرف له وجهة . وأدرك أنه يواجه الحياة وحيدا ضعيفا أعزل ، وكثيرا ما كانت تتراءى له في تأملاته صورة زوجته وأولاده الذين لم يكن يستطيع أن يصنع شيئا من أجلهم ، فلا يلبث أن ينتابه دوار شديد ، فتميد الأرض تحت قدميه ويزيغ بصره وتهتز الأشياء أمام ناظريه ثم لا تلبث أن تتلاشى شيئا فشيئا ، فلا يبقى أمامه الا صورة زوجته وأولاده تسبح في ضباب .

لم يكن يدري ماذا يفعل ، ولو درى لما استطاع ، فلا سلاح لديه من مال أو علم يواجه به الحياة . وكانت أفكاره ومشروعاته تدور في حلقة مفرغة وتصطدم دائما بصخرة الواقع ، فيزداد كل يوم يقينا بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئا أو أنه لا يكاد يحسن شيئا .

ولم يجد في هذا الظلام الدامس الذي يغرقه الا بارقة أمل واحدة : أن يواصل دراسته ، ولكن من أين يبدأ وقد بعد العهد بينه وبين المدرسة ، كان قد تركها منذ سنوات سعيا وراء الرزق عله يستطيع مساعدة والده الشيخ واخوته الصغار في وقت عز فيه القوت واشتدت الغاية على كثير من الناس .

وصار يقلب هذه الفكرة في ذهنه مرات كل يوم ، لا بد له من الحصول على شهادة الثانوية وخلال عام واحد ، وأنى له ذلك ، لو استطاع لكان انجازا رائعا يستطيع به الوقوف على قدمين ثابتتين ليبحث من جديد عن عمل يكفل له ولأسرته الحياة الكريمة . وأراد الله أن يجعل له مخرجا فسهل له من حيث لم يحتسب أمر قبوله في امتحان « الثانوية العامة » ضمن طلبة الدراسة الخاصة . ولم يكن هذا بالنسبة اليه أمرا سهلا بعد السنوات الطوال التي تفصل بينه وبين عهد الدراسة . وكانت فرحته لا توصف وسعادته لا تقدر بعد أن أمسك بأول خيوط النجاة .

ولشد ما آلمه الا يجد لفرحته وسعادته صدى على وجوه أهله الذين لم يثقوا برأيه بل نظروا اليه نظر الشك والريبة واعتبروا عمله محاولة غريق فاشلة . لم يحاولوا تشجيعه ،



أشفقوا عليه من هذه المغامرة فنصحوه بالكف عنها والجلوس في البيت معهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون ، اذا أكلوا أكل معهم ، واذا جاعوا جاع معهم ، ولكن همته الكبيرة أبت عليه ذلك ، رفض أن يعيش عالة عليهم ، لقد وضع نفسه أمام الاختبار المصيري الصعب فاما أن يكون شيئا أو لا يكون . فصمم على خوض تجربته بكل ما أوتي من عزم وايمان وثقة في الله أن يأخذ بيده ولو من أجل أطفاله الصغار . ولم يكن يضايقه الا ابتسامات أهل قريته التي تحمل وراءها معاني الخبث والمكر والاستهزاء والاستخفاف ، وكانوا كثيرا ما يتغامزون عليه ويتندرون به في حضوره وغيبته ، وما زاده ذلك الا تصميما فقرر أن ينام نهاره فيريح نفسه منهم وأن يدرس ليله مستغلا سكون الليل وهدوءه .

ومضى العام ثقيلا بطيء الخطى كأن أيامه شهورا ، وكان كل شيء حوله يثبط من عزيمته ويبدد حماسته ، حتى زوجته على فرط محبتها له واخلاصها ووقوفها الى جانبه انهارت مقاومتها أمام جاراتها اللاتي كثيرا ما عيرنها بما آل اليه زوجها ، فقد ضاقت به ذرعا ذات مرة حينما طلب اليها أن تخرج بابنه الصغير الذي أمعن في بكائه ، فما كان

منها الا أن صاحت به قائلة : لو كنت أعلم أنك ستنجح لتحملت كل هذا وأكثر ولكنك ... ثم شرقت بدموعها وسكتت . وفهم ما يجول بخاطرها ، وحز قولها في نفسه كالسكين وآلى على نفسه أن يحاسبها على ما بدر منها اذا أمكنته الأيام من ذلك ، فقد كان يرى فيها الحصن الذي يأوي اليه كلما اشتد به الضجر أو نال منه اليأس أو ثقلت عليه تعليقات الشامتين يلتمس لديها كلمة حنان أو ابتسامة تشجيع ، ولكنها ضعفت أمام المحنة ولم تصمد للاختبار . ولم يكن من السهل عليه أن يسلم بانهيار حصنه الأخير فراح يلتمس لها في قرارة نفسه الأعذار ، فألسنة القرية لا ترحم ، وويل للبقرة التي تسقط من كثرة السكاكين .

وكان أطفاله الصغار سلواه في محنته يفزع اليهم يداعبهم ويرشف من عيونهم وأفواههم معاني الحب الخالص وهو يسمع ابنته ذات السنوات الثلاث تدعو الله بصوتها الذي يقطر براءة وطهرا : « يارب ينجح بابا في الامتحان » وكان وجوده بينهم ينسيه ما يثقل صدره من ضيق ولو الى حين ، فسرعان ما يرتد الى واقعه المؤلم المليء بالمخاوف مما يخبئه لهم الغد .

وكانت نتيجة الامتحان على غير ما توقع الناس وتوقع هو نفسه ، فقد كان من الأوائل ، واذا الذين كانوا بالأمس يستهزئون به يتوافدون عليه مهنئين ، وقد كظموا غيظهم وكتموا مشاعرهم في صدورهم .

ويريد الله أن يتم نعمته عليه فرشحته الحكومة الى بعثة دراسية في الجامعة ، ووجد نفسه بين عشية وضحاها في رحاب الجامعة في جو لم يألفه من قبل ، ولم يدر في خلده يوما أن يدخل الجامعة ولو زائرا . ولازمه شعور بالاغتراب سنا وثقافة في هذا الجو الجديد ، ولم يكن دربه فيه خلوا من الصخور والأشواك والعقبات ، ولكنه استعان على السير فيه بشجاعته وعزمه وثقته بنفسه التي ارتدت اليه قليلا . وما يزال يذكر المحاضرات الأولى في اللغة الانجليزية ، كان يستمع ساعات الى أستاذه الأمريكي دون أن يفقه حرفا مما يقول مما أشعره بتضاؤله أمام نفسه بالقياس الى زملائه ، كان يرى نفسه قزما ويراهم عمالقة ، وما كان يطيق وجوده في قاعة المحاضرات دون أن يفهم شيئا مما يدور فيها سوى أنه درس في الانجليزية ، وتكرر هذا الموقف في المحاضرات التالية وشعوره بالتضاؤل يلازمه ويمعن حفرا في نفسه يوما بعد يوم ، حتى هم بترك الجامعة والبحث له عن عمل ، وكان اذا خلا الى نفسه يتساءل عما اذا كان يحق له أن يضيق ذرعا بالجامعة وهو المبتعث فيها بينما يدرس فيها زملاؤه على حسابهم الخاص ، واذا كان يلاقي فيها صعوبات في بعض المواد ألم يسبق له أن اجتاز فحص الثانوية بتفوق وهو الذي لم يسبق له دخول امتحان قط . أين همته وعزمه وايمانه،وقرر مواصلة المسير مهما كلفه من جهد بلا شكوى .. وطلب من أستاذه الأمريكي أن يؤشر له على الموضوعات المقررة في فهرس الكتاب ، ولم ينس بعد كيف قضى اثنتي عشرة ساعة متواصلة في تحضير الموضوع الأول ، فقد استمر في جلسة واحدة لم يبرح مكانه من الرابعة مساء حتى الرابعة صباحا لكنه ذهب الى الجامعة صباح ذلك اليوم وهو يحس في نفسه بقوة غريبة وثقة كبيرة لا حد لها ، وتصدى لاسئلة أستاذه بكل جدارة فقد هضم الموضوع هضما تاما ، لم يترك كلمة واحدة فيه الا بحث عن معناها في « القاموس » وهو اذ يتذكر ذلك الآن يغرق في الضحك لأنه بحث في القاموس يومها عن معاني جميع كلمات القطعة ما سهل منها وما صعب فقد استغلقت عليه جميعها واستعجمت ومع الأيام أحس باللغة الانجليزية وسائر الموضوعات الأخرى تلين بين يديه ، وأصبحت له طيعة سهلة القياد . وكانت مفاجأة له أن يكون من المتفوقين في امتحانات الفترة الأولى وأن يحصل على المرتبة « الثالثة » بين زملائه وحتى اللغة الانجليزية التي كانت في أول الأمر شرودة منه صعبة المراس عليه مغلقة الأبواب دونه فقد حصل فيها على درجات لم يكن يتوقعها بل ولفتت اليه الأنظار .

وزاد ثقة بنفسه ، وصمم على أن يكون « الأول » بين زملائه في الامتحان النهائي ما دام قد حصل على المرتبة « الثالثة » فضاعف من جهوده وسط تشجيع أساتذته وأصدقائه وعارفيه ، حتى كان له ما أراد .

وتبدلت نظرة الناس اليه في القرية حتى أصبح مثلا يضربه الآباء لأبنائهم ليستحثوهم على الدرس والتحصيل. واحس بأنه لم يعد يواجه الحياة ضعيفا وحيدا أعزل ، فقد أصبح في يده السلاح ، وأصبح قادرا على أن يفعل شيئا ، وشيئا كبيرا ، ولكنه مع ذلك كان يعلم أنه ما زال في بداية الطريق وان أصبحت طريقه أكثر لينا وسهولة وأقل وعورة .

وكان ما يلقاه من احترام وتقدير من أساتذته وزملائه بالجامعة يملأ نفسه غبطة وزهوا وفخارا ، ويدفعه الى المحافظة على النجاح الذي حققه ، فليس مهما أن يصل الى القمة بل الأهم من ذلك أن يستقر عليها بقدم راسخة ثابتة فالتراجع الى الوراء ولو قليلا معناه هدم كل ما بناه وفقدانه رصيده الضخم من حب الناس له واحترامهم اياه .

وفي الجانب الثاني كان كثيرون ممن لم يعرفوا ظروفه يغبطونه ويظنون أن مجيئه الى الجامعة ترف علمي بعد أن بنى لنفسه أسرة سعيدة ووفر لها من عمله الطويل السابق مبلغا محترما يكفل لها العيش الرغيد ، فما عليه اذن ألا يتفوق في دراسته الجامعية ما دام كل شيء مهيأ له وما دام لا يشغل فكره بما يشغل أفكار غيره من الطلبة في مقتبل الشباب . وكان يعذر هؤلاء الذين لا يعلمون من أمره شيئا الا ظاهره ، وويل للشجي من الخلي .

كان حريصا على أن يكون عند حسن ظن أساتذته به ، فقد كانوا يعاملونه كأنه زميل لهم ، وقد كان بسنه وسلوكه العلمي والاجتماعي جديرا بهذه المعاملة ، حتى أصبح في الجامعة ظاهرة فريدة تلفت النظر ، فكثيرون عرفوا ظروفه وعرفوا أنه يكافح في أكثر من ميدان فهو ذو عائلة وأطفال يستهلكون الكثير من طاقته وفكره ووقتـه وقد استطاع التوفيق بين التزاماته نحوهم والتزاماته نحو دراسته .

ومضت به السنوات سراعا في الجامعة يحرز النجاح تلو النجاح ولا يزيد في قلوب الناس من حوله الا حبا وتقديرا ، حتى أتم دراسته وهو اليوم ينتظر بصبر كاد ينفد أن يمد يده ليقطف الثمرة بعد أن تعهد الغرس فأحسن، ورواه فأجاد .

وأحس بأشعة الشمس تتسلل من نافذة غرفته فارتدى ملابسه على عجل وانطلق الى ساحة القرية واستقل أول سيارة ذاهبة الى المدينة ، وهناك اندفع ملهوفا نحو باعة الصحف الذين علت أصواتهم مرددين : نتائج امتحانات الجامعة اليوم . التقط من أحدهم جريدة وراح نظره يلتهمها حتى استقرت عيناه على أسمه في طليعة أسماء الناجحين فقرأ نتيجته والحروف تتراقص أمام عينيه من خلال دموع الفرح ■

حسن حسن سليمان — صفوى

شعاع من طه حسين

للأستاذ : ثروت أباظة *

عرض وتعليق :
الدكتور شكري محمد عياد

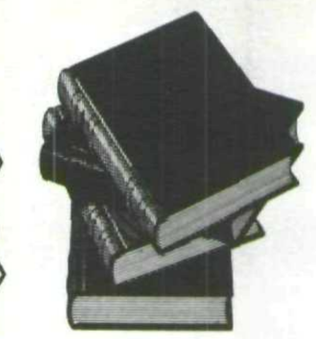
هذا أول كتاب يصدر عن طه حسين بعد وفاته. وما أكثر ما كتب عن طه حسين في حياته من المقالات والكتب. بل ان من طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية وغير العربية ممن اختاروا جوانب من أدب طه حسين ليعدوا حولها اطروحاتهم، وقد جرى العرف في معظم جامعات العالم على الا نكتب اطروحات علمية عن الاحياء، ولكن طه حسين كان قد أصبح معلما من معالم الأدب العربي لا سبيل الى الشك فيه، وترك في تاريخ هذا الأدب سمات لو شاء هو نفسه أن يغيرها لما استطاع. وقد كتب طه حسين سيرته بقلمه في كتابه «الأيام» بأجزائه الثلاثة، كتبها في صراحة لا أحسب أن أحدا من كتاب العربية استطاع أن يجاريه فيها. ترى ماذا يستطيع ثروت أباظة أن يضيف الى هذا الانتاج الغزير حول طه حسين وأدب طه حسين؟ سؤال لا بد أن يجول في ذهنك حين تتناول هذا الكتاب اللطيف الحجم مقلبا صفحاته المائة والخمسين، التي أضيف اليها قرابة ثلاثين أخرى من الصور التذكارية.

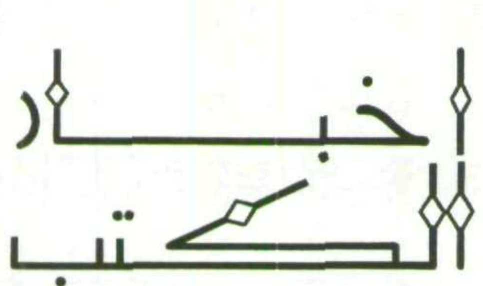
ولكن ثروت أباظة يفاجئك بما لم تكن تتوقع. فهو لا يكتب سيرة لطه حسين ولا دراسة في أدب طه حسين، وانما هو يسوق اليك حديثا شخصيا حميما عن طه حسين، حديثا لا تكاد تميز فيه طه حسين الأديب عن طه حسين الانسان، بل لا تكاد تميز فيه طه حسين من ثروت أباظة. ومن هذه الصفة الشخصية الحميمة يستمد الكتاب قوته، وفيها أيضا يكمن ضعفه. فأنت اذا حاسبت كتاب ثروت أباظة بمقاييس الدراسة الأدبية وجدته لا يكاد يثبت للنقد. فهو شخصي الى أبعد حدود الشخصية، يتحدث عن ثروت أباظة ووالده المرحوم دسوقي أباظة باشا بمقدار ما يتحدث عن طه حسين أو أكثر مما يتحدث عن طه حسين، ولا يتناول أدب طه حسين الا بلمحات خاطفة قد لا تعوزها ومضات القارىء الذكي ولا لمحات الكاتب الخبير، ولكنها لا تقدم اليك تحليلا ولا شبه تحليل لمنهج طه حسين في النقد ولا لأسلوبه في كتابة القصة، وهما الجانبان اللذان عني بهما ثروت أباظة من أدب طه حسين. ولكنك اذا نظرت الى كتاب ثروت أباظة على أنه مذكرات شخصية تكشف لك بعض خفايا الحياة الأدبية في مصر أثناء العشرين سنة الماضية، وتقدم اليك صورا قلمية لطه حسين في المرحلة الأخيرة من حياته، تلك التي لم يتسع له الوقت أو لم يسعفه الجهد ليمليها جزءا جديدا من الأيام، فلا بد أن تحكم بأن هذا الكتاب اللطيف بصفحاته المائة والخمسين يهيء للجيل الحاضر والأجيال التالية وثيقة عظيمة الخطر نادرة القيمة. فثروت أباظة كاتب لا تعوزه الصراحة، ولا الجرأة، وقد لابس أو لامس أوساط الأدباء والنقاد على اختلاف نزعاتهم طوال هذه الفترة، كما أتيح له أن يتصل عن قرب بطه حسين، وأحسبه كان من أقرب أصفيائه، فهو يمثل الجيل الثاني من الأدباء الذين رعاهم عميد الأدب، وكان من دأب طه حسين أن يأبو الباحثين الشبان والكتاب الشبان في كتبه ومجلسه، فخرّج منهم جيلا أصبحوا اليوم من شيوخ الأدب، ومنهم من انتقل الى جوار ربه قبل الدكتور طه حسين، كالدكتور محمد كامل حسين، والدكتور محمد مندور والدكتور عبد اللطيف حمزة. ولكن الجيل الأول من هؤلاء التلاميذ كانوا باحثين أكاديميين، أما ثروت أباظة فقد كان عاشقا لأدب طه حسين (والعاشق لا يرى الا محاسن المعشوق)، ولعلي لا أغلو اذا قلت أنه يمثل بأدبه التراث الحي لطه حسين القصاص. ولا شك أن ثروت أباظة قد استلهم شيئا من جرأة استاذه عندما قدم الينا هذا الكتاب الذي قد تتناوله على أنه سيرة لطه حسين أو دراسة لأدبه، فاذا قرأته وجدته يفلت متعمدا من حدود السيرة أو الدراسة الأدبية.

وقد لا ينبغي أن تقاس قيمة الكتاب دائما بما بذل صاحبه من جهد في كتابته، أو بما يبذله قارئه من جهد في قراءته. فأنت تقرأ كتاب ثروت أباظة في جلسة مستروحة، وتحس أنه كتبه مستروحا كذلك، ولكنه كتاب قيم حقا لما يحمله من شهادة صادقة على معاناة جيله ■

د. شكري محمد عياد – جامعة الرياض

* كتاب روز اليوسف، فبراير ١٩٧٤





* أخرج مجمع اللغة العربية بالقاهرة طبعة ثانية منقحة ومزيدة من «المعجم الوسيط» في جزءين كبيرين اشتملا على كثير من المصطلحات العلمية والمفردات الحديثة التي أضيفت الى اللغة العربية في السنوات الأخيرة .

ولئن كانت الطبعة الأولى قد ظهرت باشراف العلامة الراحل أحمد حسن الزيات وزملائه ، فقد ظهرت الطبعة الثانية بعناية الدكتورين ابراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر والأستاذين عطيه الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد واشراف الأستاذين حسن علي عطيه ومحمد شوقي أمين . وقدم لهذه الطبعة أمين المجمع العلامة الكبير الأستاذ الدكتور ابراهيم بيومي مدكور .

كذلك أصدر المجمع المجلد الخامس عشر من «مجموعة المصطلحات العلمية والفنية» التي أقرها، تتناول مصطلحات في الفيزيقا النووية والاقتصاد والكيمياء والجيولوجيا والمياهيات (الهيدرولوجيا) والتاريخ والحضارة وعلوم الاحياء والبترول واللغة والفلسفة ، وقدصدر لهذه المجموعة النفيسة الدكتور ابراهيم بيومي مدكور أمين المجمع .

* كتاب نفيس عن «الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري عند العرب والترك» صدر للعلامة الدكتور حسين مجيب المصري ، عرف فيه بهذه الشخصية الدينية الكبيرة وبالعصر الذي عاش فيه وبمعاصريه ، وقد نشرت الكتاب مكتبة الانجلو المصرية نشرا جميلا .

ومن كتب السير التي صدرت أخيرا «أطياف من حياة مي» للأديب الراحل الأستاذ طاهر الطناحي وقد نشر في سلسلة «كتاب الهلال» ، و «صوت السماء بلال بن رباح» للأستاذ عامر العقاد وقد نشر عن دار الشعب ، و «زينب ابنة الزهراء وبطلة الفداء» للأستاذ علي أحمد شلبي ونشره المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية.

* الأديب الأردني الكبير الأستاذ عيسى الناعوري ترجم الى اللغة العربية الرواية الايطالية المشهورة «الفهد» لتومازي دي لامبيدوزا بمقدمة ضافية للمستعرب الايطالي أومبرتو ريتستانو . وقد طبعت هذه الرواية طبعا أنيقا وصدرت عن المعهد الثقافي الايطالي في بيروت . كذلك صدرت للأستاذ الناعوري رواية طويلة عنوانها «ليلة في القطار» نشرتها دار فيلادلفيا في الأردن .

* وفي الأدب الروائي ظهرت الكتب التالية : «العمر لحظة» رواية للأستاذ يوسف السباعي ونشر مكتبة الخانجي ، و «الكرنك» رواية للأستاذ نجيب محفوظ ، ونشر مكتبة مصر ، و «فارس الفرسان» رواية للدكتور أحمد كمال زكي ونشر دار الفكر العربي ، و «اكسير الحياة» رواية للدكتور محمد عزيز الحبابي ونشر دار الهلال ، و «الزمن الموحش» رواية للأستاذ حيدر حيدر ، و «العراء» مجموعة أقاصيص للدكتور سهيل ادريس ونشر دار الآداب ، و «لا ترقبي عودتي» مجموعة أقاصيص للأستاذ رستم كيلاني وتذييل لعميد القصة الراحل محمود تيمور ونشر دار الفكر العربي ، و «العري في صحراء ليلية» مجموعة أقاصيص للأستاذ محمود الريماوي ونشر وزارة الأعلام العراقية ، و «حمص أخضر» رواية للأستاذ اسماعيل ولي الدين ونشر «سلسلة كتابات معاصرة» ، و «مأساة كريولانس» لشكسبير وترجمة الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا ونشر وزارة الأعلام في الكويت .

* من الجديد في كتب التراث ما يلي : الطبعة الثانية المنقحة المزيدة من كتاب «طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحي وقد حققه في جزءين كبيرين العلامة الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر وصدر عن دار التراث ، والجزء الثالث من كتاب «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا» لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي وقد حققه الدكتور محمد حلمي محمد أحمد ونشره المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، والجزء الأول من «شرح أبيات مغنى اللبيب» تصنيف عبد القادر بن عمر البغدادي وتحقيق الأستاذين عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ونشر دار البيان بدمشق ، و «شعر ابن لنكك البصري» جمع وتحقيق الأستاذ زهير غازي زاهر ونشر بغداد ، و «شعر الخباز البلدي» جمع وتحقيق الأستاذ صبيح رديف وطبع العراق ، و «شعر مروان بن أبي حفصة» جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان ونشر دار المعارف و «الرد الجميل» للامام الغزالي تحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق وتقديم فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار ونشر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

* أحدث كتاب صدر عن عميد الأدب العربي الراحل كتاب عنوانه« طه حسين في معاركه الأدبية» للأستاذ سامح كريم بمقدمة للدكتورة سهير القلماوي ونشر في سلسلة «كتاب الاذاعة والتلفزيون» .

وفي الدراسات الأدبية صدرت طائفة من الكتب منها الجزء الأول من «تاريخ الأدب العربي» للمستشرق بلاشير ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني ونشر وزارة الثقافة بدمشق ، والحلقة الأولى من كتاب «صور من الحضارة العربية الاسلامية» وهي تتناول «الأحذية والنعال في التاريخ والأدب» ، وقد صنف هذا الكتاب الطريف الدكتورة ابتسام مرهون الصفار والدكتور بدري محمد فهد ونشر عن مطبعة النعمان بالنجف ، و «في الأدب وفنونه» للأستاذ علي بوملحم ونشر المطبعة العصرية بصيدا ، و «هوامش تراثية» للأستاذ هلال ناجي وهو تعليقات على طائفة من كتب التراث صدر عن مطبعة العاني ببغداد ، و «شعراء من أمريكا الجنوبية» ترجمة وتعريف الأستاذ سعد صائب ونشر وزارة الاعلام في بغداد ، و «الحكاية الخرافية : نشأتها ، مناهج دراستها، فنيتها» لفون ديرلاين وترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم ومراجعة الدكتور عز الدين اسماعيل ونشر دار القلم ببيروت .

* صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية كتابان دينيان هما «الهجرة نصر للاسلام والمسلمين» للأستاذ سعد صادق ، و «بيوت الله في السلم والحرب» للأستاذ عزت القاضي .

* دواوين الشعر الجديد هي : «أطياف ومرايا» للشاعر الدكتور عفيفي محمود ونشر القاهرة ، و «ديوان الرافعي» للمرحوم الشاعر عبد الحميد الرافعي ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و «ظل الفارس النحاسي» للأستاذ عادل البياتي وطبع مطبعة الأديب البغدادية ، و «كأس الصدود» للأستاذ علي الشوبكي ونشر العراق .

* كتابان عن الأعمال اليدوية صدرا أخيرا هما «فن الكروشية» – الجزء الأول – للأديبة فتحية غيث ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و «الأعمال اليدوية» للأستاذ محي الدين طالو ونشر مكتبة أطلس بدمشق .

* أصدر الدكتور محمد عبد الله أبو علي كتابا عنوانه «التنظيم الاجتماعي للصناعة – دراسة اجتماعية لصناعة تكرير البترول في مصر» ،ونشرت الكتاب الهيئة المصرية العامة .

* «الخلافة الأموية من سنة ٦٥هـ الى سنة ٨٦هـ» عنوان كتاب جديد للأديب عبد الأمير دكسن صدر عن دار النهضة العربية ببيروت .

* كتاب في علم الفلك عنوانه «السموات السبع» صدر للدكتور محمد جمال الدين الفندي ونشرته الهيئة المصرية العامة ■

طنجة المدينة العربية الإسلامية

بقلم: الدكتور نقولا زيادة

كان ذلك سنة ١٩٣٩ ، عندما كنت عائدا من بريطانيا الى الوطن بحرا . ولما أذنت السفينة بوداع المحيط الأطلسي واستقبال البحر الأبيض المتوسط اختارت « طنجة » نقطة للوداع والاستقبال . وعند الصباح الباكر صعدت مع ثلاثة من الأصدقاء العرب كنا مسافرين سوية ، الى سطح الباخرة ، التي أخذت تخفف من سرعتها متهادية لتدخل الميناء . القينا نظرة على « طنجة » فرأينا مدينة بيضاء تتربع على امتداد تل يرتفع نحو مائة وخمسين مترا عن سطح البحر ، ويزاحم البيت منها البيت المجاور ليؤكد كل واحد منها ان له على ذلك التل مكانا ، بحيث كنت ترى سطوحا أكثر مما كنت ترى أبنية .

ولما نزلنا في طنجة لبضع ساعات ، أشرت على صحبي أن نزور المدينة القديمة الأصلية . وقبل الصحب ذلك وأخذنا نتسلق الشوارع الضيقة من الميناء الى وسط طنجة . وانضم الينا فتى يافع أراد أن يكون لنا دليلا . ولما سمعنا نتكلم العربية برقت عيناه وانبسطت أساريره وقال : عرب ؟ قلنا : نعم ، يومها أدركت أن في هذه المدينة ، التي تقوم في هذه الزاوية النائية من افريقية الشمالية ، والتي كانت « مدينة دولية » فتيانا صغارا يربطون بين أنفسهم وبين عرب المشرق .

وانتظرت عشرين سنة حتى زرت « طنجة » مرة ثانية (١٩٥٩) . ولكن منذ ذلك الحين تكررت زياراتي للمغرب ، وفي كل مرة كان لا بد لي من زيارة « طنجة » ، لا للاستزادة من معالمها مرة بعد مرة ، ولكن لأنني أعتز





جانب من رواق الجامع الكبير في طنجة وقد بدت التفاصيل الزخرفية تجلل أعمدته وواجهته العليا بوضوح .



مدخل على شكل قوس يفضي الى أحد الشوارع القديمة في مدينة طنجة .

بصداقة نفر من أهلها ، كان لا بد من أن أزورهم والتقي بهم بين الحين والآخر . وهذه الصلة هي التي قوت الرابطة التي أشعر بها نحو « طنجة » ، كما أشعر ، في واقع الأمر نحو مدن المغرب العربي من « درنة » الى « الدار البيضاء » و « مراكش » .

الآثار العربية الاسلامية

« طنجة » مدينة قديمة ، بل لعلها أقدم مدينة في المغرب ، وقد مرت عليها أيام عز تجاري كبير على أيدي القرطاجيين ، اذ كان الفينيقيون يقصدونها مركزا لتجارتهم مع غرب البحر المتوسط وسواحل المغرب الأطلسية والجزر البريطانية . كما أن المدينة مرت عليها التجارب المختلفة فيما بعد ، فجاءها الرومان والفندال والبزنطيون . وفي سنة ٦٣ﻫ (٦٨٢م) ، احتلها القائد العربي « عقبة بن نافع » ، ثم اتخذها « موسى بن نصير » مركزا لجنوده قبل عبوره المضيق الذي سمي باسمه ليغزو اسبانيا . ومنذ ذلك الوقت ، أصبحت مدينة « طنجة » من المدن العربية الاسلامية ، فكانت تتبع الأمويين ثم الأدارسة ثم الدول التي قامت في اسبانيا والمغرب .

ومن الآثار الاسلامية في طنجة السوق الكبيرة ، وهي ساحة واسعة ، لم تخطط على أساس معين ، ولكن مع الزمن دارت بها الحوانيت والمطاعم والمقاهي ، ولكنها تظل مدخل المدينة القديمة . وبعض هذه المباني لها أبواب هي تقليد للقديم . وعند آخر هذه السوق يقوم باب فاس أو باب الفحص المؤدي

جانب من حديقة جميلة تزين باحة قصر السلطان في طنجة .



سمات الزخرفة العربية الجميلة تنعكس على هذا العمود الأثري .

الى السوق الصغيرة ، وهنا توجد أبنية يرجع تاريخ بنائها الى نحو مائتي سنة وتضفي على المكان رونقا وجمالا ، لأنها مبنية ومزخرفة على الأسلوب المغربي القديم. ومن أجمل الشوارع الموصلة من باب فاس الى السوق الصغيرة شارع الصاغة . وليس المهم أن هذا الشارع يكثر فيه بائعو الذهب المصوغ والمجوهرات ، ولكنه معرض صغير مزدحم لصناعة الحلي الذهبية والفضية المغربية ، وهي صناعة أنيقة لطيفة .

واذا ما سار الزائر في اتجاه البحر ، أو في شارع البحر ، فانه يقترب على أثر من أجمل آثار طنجة وهو جامعها الكبير حيث يزدان قوس أحد أبوابه بالزخارف المنقوشة بالجص المخرم ، ومئذنته أو صومعته المزخرفة بالزليج (القيشاني) الأخضر تتخللها أشكال هندسية هي مقصد الزوار في المدينة .

وقد كان في طنجة مسجد جامع قديم ، لكنه تهدم بسبب الحروب التي مرت بها المدينة . فلما كان المولى اسماعيل ١٠٨٢ — ١١٣٩هـ (١٦٧٢ — ١٧٢٧م) سلطانا على المغرب رأى أن يعيد الى المدينة ، بعد أن استرجعها من البرتغاليين رونقها ، فبنى فيها هذا الجامع الكبير . وقد زخرف داخله بالخشب، ومحرابه جميل جدا . والمولى اسماعيل كان ، ولا شك من أبرز حكام المغرب اطلاقا . وقد وسع في رقعة الجامع المولى سليمان سنة ١٢٣١هـ (١٨١٥م) . وتقوم في مقابل الجامع مدرسة مرينية الأصل تعود الى عهد أبي الحسن علي المريني (٧٣٢ — ٧٤٩هـ (١٣٣١ — ١٣٥٠م).



أحد الأسواق التجارية في طنجة .

حانوت تجاري في السوق الكبيرة في طنجة .



مجموعة من الحلي الذهبية والفضية المغربية يحويها متحف طنجة في القصبة .

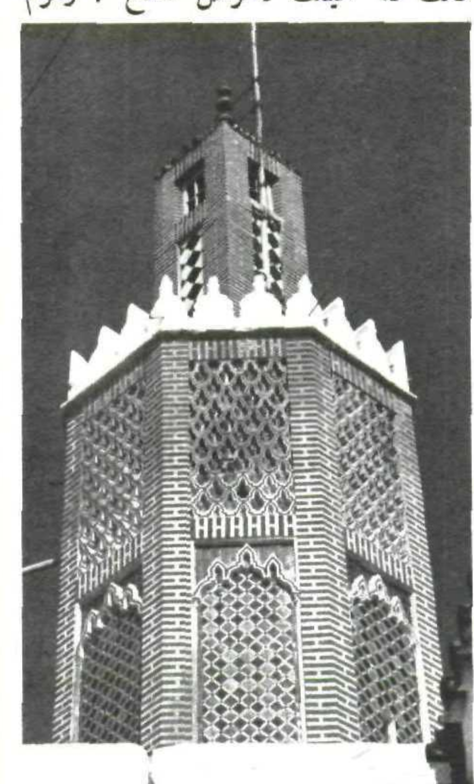
أما وقد وصل الزائر الى هذه النقطة فليواصل سيره الى البحر حيث يصل الى الشاطيء الشرقي لطنجة . وليس هناك من الآثار القديمة سوى أسماء الأماكن أو بقية منها ، مثل « برج المرسى » الذي أصلح في أواخر القرن الماضي .

ولينتقل الزائر الى القصبة ، وهو في خيار من أمره فاما أن يتعرج مع الأزقة والشوارع الضيقة من السوق الصغيرة الى القصبة ، أو أن يذهب اليها في سيارة عبر الجزء الجديد من طنجة . والا فانه لا يستطيع أن يرى هذه الطرق القديمة التي تبدأ بعقد وتنتهي بعقد . وهي أقواس مبنية من الآجر (القرمد) الرقيق ، أو أحد الأبواب المزخرفة . ولكن السير في أنحاء المدينة الجديدة للوصول الى القصبة يتيح للزائر زيارة حديقة المندوبية ذات الأشجار الجميلة الضخمة والتي يقرب عمرها من ثمانمائة عام .

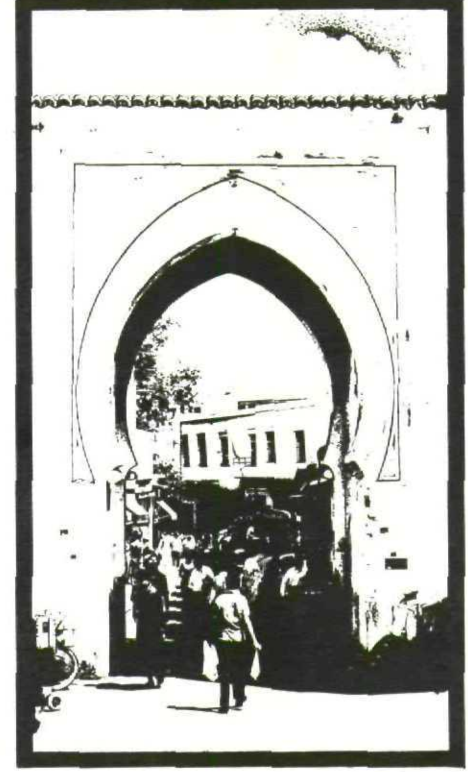
والقصبة ، مثل كل قصبة في مدن المغرب العربي جمعاء ، وحدة مستقلة عن المدينة ، لها سورها الذي يدور بها ، ولها مسجدها الجامع ومدارسها وأسواقها ، وبها قصر لاقامة « ولي الأمر » وقلعة متصلة بالقصر أو هي جزء منه أو هو جزء منها ، كانت قد أقيمت لأغراض الدفاع . وتقوم القصبة في مكان مرتفع بالنسبة الى مدينة طنجة ، وهي لا تختلف عن غيرها من القصبات .

فبعد أن يسير الزائر الى القصبة مرورا بحدائق القبطان أو بالمدينة الجديدة ، يصل الى بوابة القصبة ، فيطالع ميدان الطابور ، حيث كان « ولي الأمر » يستعرض جنوده وحرسه الخاص . والواقع أن الزائر لا يجد في بوابة القصبة هنا ما وجده في أبواب قصبة الرباط وغيرها من بناء معقد للدفاع . وحتى السور الذي يحيط بالقلعة ودار السلطان من جهة البحر ليس حصينا الى درجة كبيرة . وهذا سببه ارتفاع القصبة نسبيا ، وصعوبة الوصول اليها تسلقا من البحر .

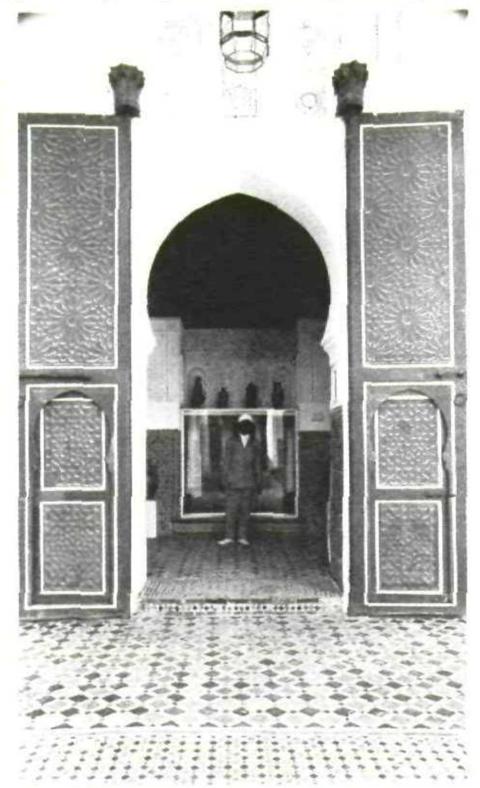
والاسم الذي يطلق على مقر « ولي الأمر » هو « قصر السلطان » أو « دار المخزن » . وقد أصبح هذا البناء الجميل المزخرف الواسع ، بقاعاته المتعددة ، متحفا أثريا فنيا للمدينة . والبناء كله مغربي الشخصية زخرفا ، كما يبدو من النظر الى باب احدى القاعات وأرضها ، كما أن المحتويات مغربية ولنضع بين أيدي القراء مثلين الأول ، صندوق خشبي من صنع القرن التاسع أو القرن العاشر للهجرة (أي الخامس عشر أو السادس عشر للميلاد)



الجزء العلوي من المئذنة المثمنة التابعة لجامع القصبة الأثري .



باب فاس الواقع بين السوق الكبيرة والسوق الصغيرة في طنجة .



باب مزخرف في مبنى قصر السلطان أو « دار المخزن » في طنجة .



جانب آخر من رواق الجامع الكبير في طنجة

تصوير : خليل أبو النصر

وتبدو فيه بساطة الصنعة ودقتها، والثاني حلي مغربية ذهبية وفضية .

ولدى تنقله وتجواله في القصبة ، يجتاز الزائر شوارع مبلطة على غرار الفسيفساء ويمتع الطرف بحدائق قصر السلطان الجميلة .

وظلال

في القصبة ثلاثة أشياء تحكي قصصا قديمة في التاريخ والفن : أحدها المحكمة الشرعية في القصبة وواجهتها مزخرفة زخرفة مغربية جميلة . وثانيها بيت المال المكونة واجهته من ثلاثة أقواس بسيطة لكنها آية في الاتساق . وبيت المال يرجع الى أيام المولى اسماعيل ، مثل الجامع الكبير في المدينة . وأما الثالث فهو مئذنة جامع القصبة المثمنة ذات التفاصيل الزخرفية الدقيقة .

على أن طنجة ، مثل غيرها من المدن العربية الاسلامية ، لها آثار من نوع آخر . فقد أنجبت ، كما أنجب غيرها ، جماعة من أهل القلم لعل أشهرهم هو « ابن بطوطة » الرحالة الكبير . ومع أنه ليس من المألوف أن نتعرض الى هذه الناحية بالنسبة الى المدن التي تعرضنا لآثارها الاسلامية ، فاننا نحب أن نخرج عن هذا المألوف ونشير الى هذا الرحالة العبقري . فهو من مواليد طنجة (سنة ٧٠٣هـ ١٣٠٤م) ،وفي هذه المدينة درس العلوم الشرعية على ما عرف عن أسرته من اهتمام بها . وقد بدأ « ابن بطوطة » رحلته وهو في الثانية والعشرين من سنه ، فاجتاز شمال افريقية الى الاسكندرية ومن هناك انتقل الى القاهرة ثم الى الشام حيث رافق الحاج الشامي الى المدينة المنورة ومكة المكرمة .

وبعد تطواف دام سنين ، منها ثمانية أعوام قضاها في الهند وغيرها في جنوب شرق آسية،عاد الى مصر ومنها الى طنجة عام ٧٥٠ هـ ١٣٤٩م ،وحط رحاله بعد ذلك في فاس في بلاط السلطان أبي عنان . ومن فاس خرج في رحلتين الاولى الى الأندلس والثانية الى السودان الغربي (١٣٥٢/٧٥٢) وهذه الأخيرة دامت سنتين وتوفي ابن بطوطة في المغرب سنة ١٣٦٨/٧٧٠ — ١٣٦٩ .

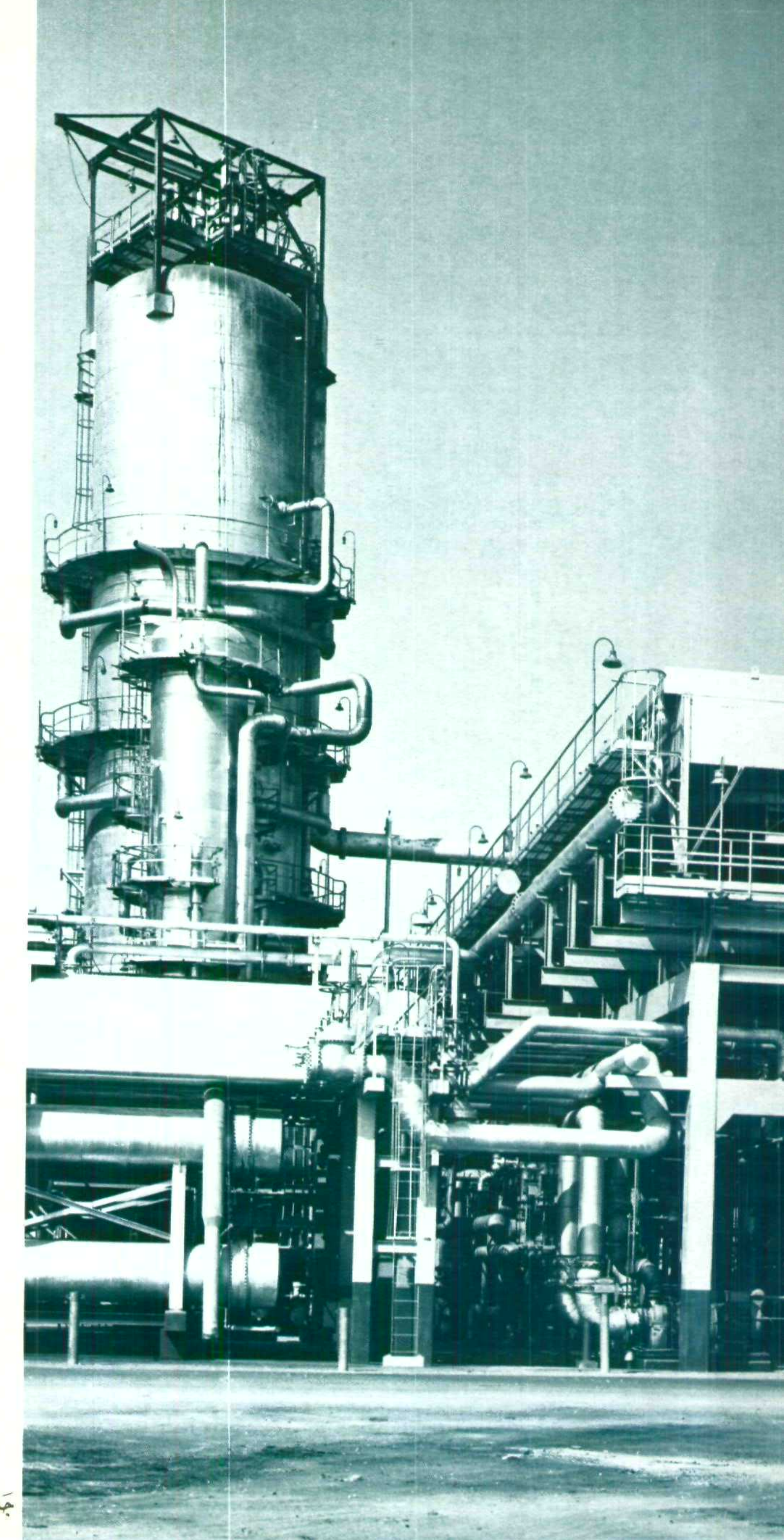
وفي

بلاط أبي عنان المريني تحدث ابن بطوطة عن أسفاره — وقص أخباره على السلطان نفسه وعلى خواصه وعلى العلماء . فاعجب السلطان بها ، ولذلك صدرت ارادته الى الرحالة بأن يملي ما شاهده في رحلته من الأمصار ، وما علق بحفظه من نوادر الأخبار ، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار وعلمائها الأخيار وأوليائها الأبرار ، ووضع السلطان كاتبه ابن جري تحت تصرف الرحالة . فكانت لنا من ذلك هذه المتعة الأدبية التي ننعم بقراءتها فنطلع على كنوز من المعرفة ، فنذكر بالخير الرحالة والسلطان وابن جري ■

نقولا زيادة — بيروت



منظر أثري أخاذ من آثار طنجة وقد جمل
بالزخارف المنقوشة بالجص المزخرف.



جانب من وحدة قطف الزيت الخام برأس تنو